# الفصل الأول

## نقد النص الأدبي في المجالس والأسواق الأدبية

- المبحث الأول :
- النقد في المجالس الأدبيةالعامة.
- نقد أم جندب.
- النقد في مجلس قيس بن ثعلبة.
- النقد في مجلس ربيعة بن حذار الأسدي.
- النقد في مجلس هرم بن قطبة الفزاري.
- المبحث الثاني:
- النقد في المجالس الأدبية الخاصة.
- مجلس قريش النقدي .
- النقد في مجالس مدينة يثرب.
- النقد في قصور ملوك الحيرة والغساسنة واليمن.
- المبحث الثالث:
- النقد الأدبي في سوق عكاظ.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الأول

## نقد النص الأدبي في المجالس والأسواق الأدبية

كان للعرب قبل الإسلام بقرن ونصف أو بقرنين تجربة أدبية ناضجة، مثّلها الشعر أصدق تمثيل فيما وصل إلينا منه على شكل أبيات منفردة ومقطوعات وقصائد قصيرة وقصائد نفيسة وطويلة ذاعت شهرتها وعلت في الآفاق حفظتها لنا دواوين ذلك العصر ومختاراته.وكان للشعر في نفوس العرب منزلةٌ لاتساويها منزلة ومكانةٌ لاتدانيها مكانة، إذ إنه ديوان مآثرهم وسجل مفاخرهم، ومجمع مكارمهم ومظهر نبلهم، ومعرض فصاحتهم وموضع الإكبار من نفوسهم واللسان الناطق بما لهم من فضلٍ وماهم عليه من مجد أثيل، وعز شامخ، فما من حرب تقوم بينهم إلاّ كان الشعر قدّ أورى سعيرها وشَبَّ لظاها، وأشعلَ لهيبها من ناحية ومن ناحية أخرى كان يُلهبُ روحَ العصبيّة ويحرّض الناس على المجابهة، فقد يشعل حرباً، ويطفي نار حرب، إلاّ أن هذا لايعني أن أغراض الشعر مقصورة على ذلك فحسب بل إنه أذاع الكرم وشيّد الشجاعة وحثّ على العفّة، وسجل سجايا العرب الحميدة، وبلغ درجة من الإتقان والجودة وتبوأ مكانة سامية في حياة العرب الثقافية والسياسية فعد ديوانهم الذي سجلوا فيه كل شاردة وواردة عنّت لهم في حياتهم الخاصة والعامة على مستوى الفرد وعلى مستوى القبيلة ومن هنا جاء اهتمام العرب به فهوالمعبر"عن مكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة وفرسانها الأنجاد وسمحائها الأجواد" (1)، فالعرب أمة شاعرة تدافع أبناؤها إلى قرض الشعر وإنشاده وحفظه وتقويمه، ومن ثم روايته، لأنه مصدر ثقافتهم وخلاصة تجربتهم الأدبية التي يفخرون بها كل الفخر في أيامهم ومنازعاتهم الاجتماعية ومواسمهم ومجالسهم الثقافية وأ سواقهم التجارية والأدبية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"كان

---

(1) العمدة، ابن رشيق القيرواني 20/1.

الشعر علم قوم لم يكن له علم أصح منه "[□]. وروى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كانت الشعراء في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم حتى خالطهم أهل الحضر فاكتسبوا بالشعر فنزلوا عن رتبتهم، ثم جاء الإسلام ونزل القرآن بتهجين الشعر وتكذيبه، فنزلوا رتبة أخرى ثم استعملوا الملق والتضرع فقلوا فاستهان بهم الناس "[بر] وقال: الأصمعي " الشعر جزل من كلام العرب، تقام به المجالس، وتستتج به الحوائج، وتشفى به السخائم". وقال: ابن سلاّم "كان الشعر في الجاهليةعند العرب ديوان علمهم ومُنتهى حكمهم، بهِ يأخذون وإليه يصيرون"[تر] ورأى أبو هلال العسكري أن "الشعر ديوانُ العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها"[ير] وأن العرب لا تعرف أنسابها وتواريخها، وأيامها ووقائعها الاّ من جملة أشعارها[سم]. فالعربُ أمة شاعرة يسحرها البيان، وتروعها البلاغة، ويستبد بإعجابها الشعر الجيد البليغ الذي رفع من شأنها وأسهم في علو مكانتها بين الأمم. وتبعاً لذلك " انتشرت الشاعرية بينهم، وغلبت عليهم ولشاعرية العرب عوامل كثيرة، منها: البيئة الطبيعية حيث الجمال والانفساح وصفاء الشمس. والبادية المليئة بالضياء والنور، وللنور أثرٌ كبيرٌ في تفتيق الأذهان وصفاء النفوس "[شم].. فضلاً عن اللغة العربية وما تمتلكه من تقنيات فنية وإبداعية فهي لغة شاعرية غنائية حافلة بمفرداتها، غنية بألفاظها "تسعف القائل وتواتيه بالقافيه، وهي فوق ذلك دقيقةٌ في دلالاتها، ثريةٌ بأساليبها ومجازها، في كلماتها رنين وجرس يلائم الشعر ويوائم الموسيقى"[له].

---

(1) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي23/1.

(2) كتاب الزينة في الكلمات العربية والإسلامية، أبو حاتم الرازي، ص 15.

(3) طبقات فحول الشعراء:24/1.

(4) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 104.

(5) ينظر: م. ن، ص 104.

(6) الإسلام والشعر، الدكتور يحيى الجبوري، ص 24.

(7) ينظر: م. ن، ص 24.

obeikandi.com

وتأسيساً على هذا كان الشعر الجاهلي صدىً لمرحلةٍ فكريةٍ وثقافية مرت بها الأمة العربية وهي تبني حضارتها العريقة، وتقدمها للبشرية فكراً أصيلاً، وفناً راقياً. ولئن تعرض هذا الشعر لصورٍ من النقد، تعددت بواعثها وتشعبت آثارها ومع هذا ظل الشعر الجاهلي نموذجاً متميّزاً من نماذج الفن الأصيل، فكان الكشف عن جمال هذا الفن وتقديمه سلساً سهلاً للمتذوقين والدارسين معاً رهناً بتنوع هذه الصور النقدية وتشعب آثارها وعلى هذا الأساس " كانت العرب أمة خيالية حماسية شاعرة، وللشعر سلطانٌ كبير على عقولهم، وأثر عميقٌ في نفوسهم، وقد كان من ناحية وزنه ونغمه وجرسه ونظمه وحسن تأليفه المثل الأعلى للبلاغة العربية "[1] وقد واكب الشعرعندهم حسٌّ نقديٌّ أدبيٌّ يرصدُ المآخذ ويعدل في بعض جوانب هذه التجربة الشعرية الفنية الناضجة فيما يخص موسيقاها المتمثلة بقوافيها وانسجام تفاعيلها، أوفي معانيها وصورها أو في المفاضلة بين شعرائها المعروفين وصولاً بهاإلى الصحة والجودة والإحكام، فتكونت ولادة النقد على هذا الأساس. وإن لم يكن النقد بمستوى نضج الشعر، فإن ماوصل إلينا يدلُّ على وجود ملامح نقديةٍ تطورت فيما بعد لذلك الشعر في عصر ماقبل الإسلام، ولقد بذل النقاد القدامى جهداً مخلصاً في تقديم صورة متكاملة عن أصالة الشعر الجاهلي ونظروا إليه من جوانبه كلها إلى حدٍّ لم يجد معه بعض المحدثين بُدّاً من أن يدوروا في الفلك الذي دار فيه النقاد القدامى مع إضافاتٍ يسيرة يرجع الفضل في تقديمها إلى تطور المناهج العلمية في البحث، فغالباً ما كانت نتائج هذه البحوث تلتقي ونتائج الدراسات القديمة على بساطة مناهجها[2] في حين رأى البعض أن النقد ظل يواكب الشعر و يجاريه وأنه - أي النقد - كان على بساطته هينا ويسيراً. فهذا الأُستَاذ طه أحمد إبراهيم يرى أن النقد كان "هيّناً يسيراً ملائماً لروح العصر وملائماً للشعر العربي نفسه، فالشعر الجاهلي إحساسٌ محضٌ أو يكاد، والنقد كذلك، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر، فالشاعر مهتاج بما

---

(1) النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، الدكتور محمد طاهر درويش، 289.

(2) ينظر:زهير بن أبي سلمى بين ناقديه في القديم والحديث، عدوية حياوي الشبلي (رسالة ماجستير)، ص 11.

حوله من الأشياء والحوادث، والناقد مهتاج بواقع الكلام نفسه"[1]. ومع ولادة نقد كهذا، دلّت ملامح التعليل أو بعضها على وصوله في بعض الأحيان إلى مرتبة مهمّة فما زاد في أهميته إمكانية إستنباط ملامح الشعرية في النص الشعري من خلال تلك الآراء النقدية.

وكان النقد في بداية أمره يعتمدُ على الإحساس، ويستند إلى الذوق البسيط، إذ يعتمدُ الشاعر من الشعراء عليه فيعطي رأيه في شعر شاعر آخر مراعياً ذوق المتلقي من أبناء عصره. ومن هُنا نجد الشعراء يمارسون النقد على أشعارهم لأنهم كانوا يهتمون بنتاجاتهم خشيةً أن يكون هناك رأي يحطّ من منزلة ما يقولون. فوجد من الشعراء من تستغرق عندهم القصيدة حولاً كاملاً، إذ ينقّح ويهذّب ويغيّر ويشذّب، وهذا مافعله زهير تجنباً للنقد الذي كان يمارسه الشعراء فيما ينظمون والرواة فيما يروون والناس عامة فيما يسمعون هذا وإن كان فيما يبدو تذوقاً فإنه تذوق يساير مختلف طبقات الناس،ولكنه يشكل البذرة الأولى لتكوين النقد. وقد كان لهذا النقد ميادينه التي يكون فيها المتلقي مقوماً، وناقداً فكان لذلك أثره في تنبّه الشعراء إلى مكان ترقيق اللفظ وتوجيه المعنى في غرض ومكان جزالة اللفظ وعمق المعنى في غرض آخر، فقد كان للنقد مآخذ يفطن إليها الشعراء في الشعر. وما كان له من أصل إلاّ سليقتهم، وماطبعوا عليه، ولم يقم إلاّ على الذوق العربي السليم. ولاريب في أن يكون النقد الأدبي هو المعيار لتقويم النص، فقد بُذِلت جهود في دراسته تعين على تمييزه ونقده، وكانت الغلبة للشعر في ذلك، وقد فرض شعر ماقبل الإسلام نفسه على الأجيال متمثلاً في روايته، وإحاطته بحفاوة كبيرة لانظير لها في عصور سبقت التدوين، لذلك كان هذا الشعر أسبق الأمثلة الناضجة للشعر التي وعاها الناقد، فقد كان له أثره المباشر في الأذواق وإسهامه الكبير في إعدادها فنشأ ذوق متتلمذ على نصوصه متأثراً بها لايرى مثيلاً لها، أعانته كثرة مدارسته على فهمه، وتمييز أساليبه وصوره ومعرفة التفاوت بين شعرائه، فقد فرض

---

(1) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصرالجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدكتور بدوي طبانة،ص 29.



obeikandi.com

شعر ماقبل الإسلام نفسه ليكون مثالاً شعريّاً مهمّاً، وعلى الشعراء أن يحتذوا حذوه ويسيروا على منهجه في مختلف العصور.

وقد أسهم الشعر في إظهار الملكات النقدية المتنوعة وتنميتها. ووعى النقاد المفاهيم النقدية للشعر من شعر ماقبل الإسلام، إذ كان المؤثر في ذوقهم وساعد على زيادة وعيهم الشعري.

وَقدْ كان النقادُ يستندون في آرائهم النقدية إلى ماتلهمهم طبائعهم الأدبية وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم اللغوي الدقيق بلغتهم وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات في شتّى صورها ومختلف استعمالاتها، وعلى سعة تجاربهم الأدبية، فجاءت أحكامهم في أغلبها ذاتية محضة، تقوم على آرائهم الخاصة، وبوحي أذواقهم الشخصية من دون استناد إلى أسس معروفة أو مقاييس مألوفة، أو أصول مقررة، أو قواعد مرعيّة، وفي صورة مجملة يصدرونها بالاستحسان أو الاستهجان غير مفصّلة ولا مسببة، لاتبيّن وجوه النقد، ولاتتعرض للعلل والأسباب التي قامت عليها، ولاتعتمد على دراسة بحث أو تحليل فإنما يصدر مثل هذا عن فكر علمي منظّم يحسن التحليل والتعليل والاستنباط.ولم يكن هذا الفكر قد نما لديهم.

وقد كان لأهل عصر ماقبل الإسلام شغفٌ بالأدب عامة والشعر خاصة، فقد أطالوا الوقوف عنده وقلّبوا وجوهه وتمعنوا في دلالته، وتخيروا ألفاظه، وأدمنوا النظر فيه، فكان صاحب هذه القصيدة متميزاً عن صاحب تلك، فكانت نفثات الحكم وملامح التمييز، وكان النقد.

## المبحث الأول

### النقد في المجالس الأدبية العامة

ونقصد بالمجلس في بحثنا هذا كل اجتماع اعتمد على الحوار الذي تثار فيه قضايا الأدب (الشعر والنثر). ولا ريب في أن يكون لكل مجلس طبيعته وأهدافه. فقد يكون المجلس الأدبي معروفاً تطرقه الشعراء من كل حدبٍ وصوب وتأتي الأسواق الأدبية في صدارة ذلك، لذلك تعددت المجالس الخاصة وتنوعت، فقد تحدث هذه المجالس مصادفة، ومنها ما يتم الإعداد له.

وقد كانت حاجة الإنسان إلى الاجتماع مع أهله وعشيرته وقومه وليدة عصور قديمة وموغلة في القدم ورافقته من عصر إلى عصرٍ حتى يوم الناس هذا.

والعرب قبل الإسلام كانت لهم مجالس وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء فكانوا حين يرخي الليل سدوله يجتمعون للسمر والحديث ويتحلقون حول محدثهم مصغين إليه بشغف وتلهّفٍ، وقد أخذت هذه المجالس تتعدد وتتنوع في مختلف الأمصار العربية، وأخذت كامل رسومها وهيئاتها بفضل وجود الشعراء والبلغاء وفرسان الفصاحة والبلاغة، فضلاً عن البصائر الناقدة والقرائح المتوقدة التي تطربهم مايحلو لهم من جمال الأدب العربي.

ولاغرو فقد شكلت المجالس نهضة شعرية ونقدية مهمة وجدنا هدفها هو التمتع بذكر الأدب ولاسيما الشعر.

وقد تنبهت العرب على النَقد الأدبي منذ القدم وعرفته، فكانت تخرج بأحكام نقدية تدل على معرفة بالأثر الجمالي المنعكس من قصيدة عصر ماقبل الإسلام، غير أن تلك الأحكام النقدية كانت في الأغلب الأعم أحكاماً عامة لم تصدر عن دراسة وتعمق مثلما هو حال النقد الأدبي في هذا الزمان.

وهناك نماذج تدلُّ دلالة أكيدة على وجود تلك اللمحات النقدية التي كان أساس موضوعها النقد الأدبي، فغني عن التعريف كون أمة العرب أمّة شاعرة، ومن يتذوق الشعر لابد أن يتكون لديه إحساس بمكامن هذا التذوق فقبول مايسمع أو

obeikandl.com

رفضه مبنيٌّ على رضا، وقد وقع في نفسه نتيجة ملامح اتفق عليها الجميع يتلمس وجودها في ذلك البيت ولايجدها في الآخر، وهذا نقد في أبسط صوره.

**النقد في مجلس أم جندب:**

ومن هذا النقد الذوقي مانجده في نقد المجالس والأسمار وفيما روي عن الأثر الذوقي الذي بني عليه رأي أم جندب زوج امريء القيس عندما تنازع مع علقمة في أيهما أشعر. واقترح علقمة أم جندب حكماً فقالت لهما: "قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس:

**خليليّ مرّا بي على أم جندبٍ        لنقضي لبانات الفؤاد المعذّبِ**

وقال علقمة:

**ذهبتَ من الهجران في كل مذهبِ        ولم يك حقّاً طول هذا التجنّبِ**

ثم أنشداها جميعاً فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟

قالت: لإنك قلت:

**فللسوط ألهوبٌ وللساق درّةٌ        وللزجر منه وقع أحوج متعبِ**

فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريته بساقك فاتعبته وقال علقمة:

**فأدركهنّ ثانياً من عنانهِ        يمرّ كمرِّ الرائح المتحلّبِ**

فأدرك فرسه ثانياً من عنانهِ، لم يضرب بسوط ولا مراه بساق ولا زجره، قال: ماهو بأشعر مني، ولكنك له وامق، فطلقها فخلف عليها علقمة فسمي لذلك بالفحل"[1]. ولكنه لم يسمَّ بالفحل لهذا السبب بل لأنه غلب امرأ القيس في قصيدته على وفق شروط أم جندب.

ولعل شروط أم جندب تقودنا إلى أنها نشأت في بيتٍ شاعريّ أهله يقولون الشعر ويستمعون إليه ويتذوقونه وينقدونه ؛ لأن العربي بطبيعته كان مرهف الحس

---

(1) الشعر والشعراء، ابن قتيبة 1/218-219. ينظر: الموشح 29،28. والقصيدتان في ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، 5.،وفي ديوان علقمة، ص 33 ومابعدها.

شاعري النفس فيه أريحية مروءة ونجدة، حاد الطبع، سريع الغضب، شديد الطرب، ذو ذكاء، وذو بديهة وارتجال، ومن كان هذا شأنه لم يلبث إذا جاش صدره بالمعنى أن يرسله قولاً، ويصوغه شعراً، وقد ساعده على هذا اتساع لغته وكثرة مترادفها فيما يقع تحت حسه وما يجول بفكره فسهل عليه النظم وأسعفته القوافي وأدرك بذوقه جميل القول من رديئه وإلا لما كانت أم جندب على هذا القدر من الاطلاع والقدرة على التمييز بهذه البساطة لذلك صدر عنها ذلك الحكم النقدي مع علمنا أن نظرة المتذوق في ذلك العصر، كانت جزئية تنظر إلى البيت أو الكلمة أو الجملة ولا تنظر إلى القصيدة.

وإذا انعمنا النظر بموضوعية إلى شعر ماقبل الإسلام وصياغاته الارتجالية فإننا لانستغرب الآراء النقدية البسيطة التي لا تتعدى رأياً في بيتٍ، بل في كلمةٍ من بيت حيث تصدر هذه الأحكام عن ذوق المتلقي وهوى نفسه أكثر مما تصدر عن عمق في النظرة إلى القصيدة بأبياتها وكلمات تلك الأبيات، وقد تصدر عن تأثر وحبٍّ لهذا الشعر أو ذاك، فتجد المتلقي منقاداً بحكمه إلى شعر من يحب متغافلاً عن هفوات أو هِنات تقع هنا وهناك في القصيدة، ولكن لا يعني أن جزءاً من هذا الهوى قد أصاب أم جندب التي فضلت علقمة في قصيدته على امرئ القيس الذي قال: (ولكنكِ له وامق)، وفي رواية(ولكنكِ هويتيه) [1].. ولانرى أن أم جندب قد تعمّقت في حكمها النقدي المهم ولكنها أصابت حين ركّزت على بيت القصيد، إلاّ أن ذلك لايعني أن هذا الحكم أطلق جزافاً فقد التمست بيتاً من قصيدة امرئ القيس ونظيره من قصيدة علقمة ووازنت بينهما. وقد يكون انحيازها إلى علقمة ناشئاً من ألم يحزّ في نفسها نتيجة مغامرات زوجها مع النساء.

وعلى هذا الأساس فإننا لانتفق في الرأي مع أم جندب في أن امرأ القيس لم يقع في مالا يجب قوله في وصف فرسه، فقد وصفه وصفاً واقعياً،ووصفُهُ هذا تصويرٌ صادقٌ لما يجري في الصيد والسباق،واعتمد في حركته على الزجر والضرب

---

(1) ينظر شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي، ص 15.

بالسوط، والحثّ بالساقين، فهذه من دون شك هي لوازم أي فارسٍ مهما كان جواده.

ومن ثم فإننا لا نلمس بلادة في جواد امرئ القيس، فهو وصف لم يخرج عن المألوف، إذ إن مس الساق يلهب الفرس الجري الشديد " وإذا مسّه بسوطه در بالجري كما يدر السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له"[1]. والحق أننا لا نجد ظلماً لامرئ القيس لأن الفرس التي يدركها فارسها ثانياً من عنانها خير من تلك التي تضرب بالسوط فيتعبها صاحبها، وإن كنا نلمس اللمحة الفنيّة في بيت امرئ القيس لكنها لا ترقى إلى اللمحة الفنية في بيت علقمة ولا يرقى بيت امرئ القيس إلى بيت علقمة، وإن كان امرؤ القيس قد استدرك في البيت الذي يليه بقوله:

**فأدرك لم يجهد ولم يثنِ شاؤهُ يمرُّ كخذروف الوليد المثقّبِ**[2]

فهذا البيت يوضح أن الفرس أدرك الوحش من دون تعب أو مشقة، وكان في سرعته واندفاعه كلعبة الخذروف وهذا الوصف يقودنا إلى أن علقمة– فيما يبدو- هوالذي تأثر بهذا القول، ولا ريب في أن قصيدته تكشف "عن توافر(16) بيتاً رويت لامرئ القيس ولعل فاعلية الرواية الشفوية كانت وراء مثل هذا التضارب والتضاد ومن ثم التداخل"[3]. ولعل توافق القصيدتين في كثير من الألفاظ والمعاني، فضلاً عن طولهما يجعلنا نتأمل في أن إنشادهما لا يمكن أن يكون ارتجالاً، ولكن لا يعني أننا نشك في هذه القصة التي نثبتها بأسباب وحيثيات، غير أن هذا التداخل كان أحد الأسباب التي جعلت الدكتور طه حسين يعلق على مطلع القصيدتين بقوله: "ويكفي أن نقرأ هذين البيتين لنحس فيهما رقة إسلامية ظاهرة. على أن هذين الشاعرين قد تواردا على معان كثيرة، بل على ألفاظٍ كثيرة، بل على أبياتٍ

---

(1) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية لغاية القرن الثالث الهجري، ص 63.

(2) ديوان امرئ القيس، ص 53.

(3) الإتجاهات الفنية في رواية الشعر الجاهلي(رسالة دكتوراه)، الدكتور صالح الصائلي، ص 133.



openkamal.com

كثيرة تجدها بنصها في القصيدتين معاً، وعلى أن البيت الذي يضاف إلى علقمة وبه ربح القضية يروى لامرىء القيس، وهو:

**فأدركهنّ ثانياً من عنانهِ يمرّ كمرِّ الرائح المتحلّبِ**

والبيت الذي خسر به أمرؤ القيس القضية يروى لعلقمة، وهو:

**فللسوط ألهوبٌ وللساق درّةٌ وللزجر منه وقع أحوج متعبِ**

وأنت تستطيع أن تقرأ القصيدتين دون أن تجد فيهما فرقاً بين شخصية الشاعرين "(1) وقد سبق إن ذكرنا أن هناك تداخلاً بين هذين النصين، ولكن هذا لايلغي إبداع الشاعرين، ومن حق الدكتور طه حسين أن يقول ذلك لأن منهجه في دراسته بني على الشك في الكثرة المطلقة من الشعر الجاهلي، فهو قد وصل به الأمر أن يشكك في المسلمات. فكيف لا يشك في هذه الرواية التي تداخلت فيها النصوص، فضلاً عن أن امرأة عربية تصرح بالحكم علانية بوجه زوجها وتنتصر لغيره أمر غير معتاد ولا مألوفٍ عند العرب.

وإذا تأملنا قليلاً في شروط أم جندب فإننا نجدها لم تلزم الشاعرين بزمن معين، وهذا هو الذي جعل التوافق واضحاً بين القصيدتين في المجلس النقدي الواحد، وفيه قد يطول وقد يتكرر وهذا ما التمسناه من هذه القصة، ومما يجب أن نشير إليه أن أم جندب لم تذكر "علة لتفضيل علقمة على زوجها امرىء القيس إلا بعد أن اضطرت إلى ذلك اضطراراً، فاكتفت بالنظر في بيتٍ واحدٍ من كل قصيدة على طول القصيدتين " (2) ويبدو أن هناك الكثيرين ممن شكّوا في نسبة هذه القصيدة لامرئ القيس، وهو المشهود له بين شعراء ماقبل الإسلام، لاسيما في معلقته، وفي قصيدته اللاميّة التي لاتجارى في هذا الصدد، وقد أنكر عبد الله بن المعتز نسبة القصيدة لامرئ القيس، إذ بيّن أنها وإن جرت على مذهبه الشعري

---

(1) في الأدب الجاهلي 1/214-215.

(2) دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية لغاية القرن الثالث، الدكتور. بدوي طبانة، ص 75.



obeikandi.com

المطبوع به فهي لشاعر غيره[1]. والحق أن في هذا الرأي تطاولاً على الشاعر ومكانته الشعرية، فابن المعتز يشك في النص الشعري وليس النقدي.

وعلى الرغم من أن هناك من يشك في صحة نقد أم جندب إلا أننا نلمح في حكمها رؤية نقدية، عندما اشترطت ما يشترطه الحكم الناقد، إذ طلبت من الشاعرين توحيد الموضوع وألزمتهما بوحدة القافية والروي، وقال الدكتور عبد العزيز عتيق: " واشتراط أم جندب للحكم أن يكون الموضوع واحداً، والقافية واحدةً، ثم إصدار حكمها بعد الموازنة معلَّلاً قد يُلقي ظلاً من الشك على صحة هذه القصة لقربها من صنيع المتأخرين في النقد والموازنة، وبعدها عن النقد الجاهلي المبني على الذوق الفطري الخالي من التعليل "[2] فهذا الرأي يذهب في جزئه الأول إلى أنه قد يلقي ظلاً من الشك على صحة هذه القصة ويعزو ذلك إلى أن تقنيتها تعود إلى صنيع المتأخرين لقربها منهم، وهو يستكثر أن الناقد العربي يمتلك من القدرة الفنية ماتؤهله إلى أن يضع شروطاً نقدية وأن يعلل ويوازن وكل ما ذهبت إليه أم جندب هو من صنيعها كما نجد في هذه الدراسة أن هناك نقداً معللا تجاوز نقد أم جندب، أما في الشق الأخير من قول الدكتور عتيق فقد ذهب إلى التعميم مؤكداً أن النقد الجاهلي مبنيٌّ على الذوق الفطري الخالي من التعليل، وهذا غير صحيح والمتابع لكتابات الدكتور عتيق يجد أنه يقرُّ بأن هناك نقداً جاهليّاً معللاً. ولكن الدكتور عتيق يستدرك بقوله: "ولكننا مع ذلك لا نستبعد صدور مثل هذا النقد عن عربية جاهلية لأن الحياة الأدبية في عصر امرىء القيس لم تكن من البساطة إلى حدٍّ عدم القدرة على إدراك هذه الملاحظات النقدية "[3].

وقد رأى الأُستَاذ طه أحمد إبراهيم "أن الموازنة على شريطة الجمع بين ثلاثة أشياء فكرة تدل على شيء من الدقة لاتتلاءم مع الروح الجاهلي في النقد الأدبي

---

(1) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص21.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب،الدكتور عبد العزيز عتيق، ص23.

(3) تاريخ النقد الأدبي عند العرب،الدكتور عبد العزيز عتيق، ص 23 ـ 24.

هذا وإننا نرتاب في أن جاهليّاً يدرك الفرق بين الروي والقافية. ونرتاب في أن هذه الألفاظ تستعمل في العصر الجاهلي بمعناها الاصطلاحي"[1] ولذلك يرى الأُستَاذ طه إبراهيم أن نبتعد عن ذكر الشروط التي جاءت أساساً نقدياً في قصّة أم جندب، إذ إنه يرى أن روح عصر ماقبل الإسلام نظرية صرف، وأن العقل آنذاك لم يكن يرقى إلى الاحتكام بمثل هذه الشروط، والحق أننا نقف على جانبٍ آخر مما وقف عليه الأُستَاذ طه، إذ إن العملية الإبداعية ،قد بلغت أوج نضجها، فلا غرو أن تكون هذه الأسس النقدية موجودة في عصر ماقبل الإسلام.

ووقف إلى جانب رفض الشك في هذه الرواية كثيرون منهم الدكتور طه الحاجري، الذي فنّد حجج المشككين استناداً إلى "أن ماتتضمنه من نقد أشبه بصنيع المتأخرين في النقد والموازنة، ولكنني مع ذلك لاأذهبُ إلى حدٍّ إنكارها جملة أورفضها رفضاً باتّاً مطلقاً، فروح النقد فيها وإن يكن نقداً معللاً، روح بسيطة متواضعة بما لا ينبغي أن يثير كبير الشبهة"[2] فالحياة في عصر ماقبل الإسلام لم تكن بسيطة إلى حدٍّ أن يستبعد معه كل أثر من نوع كهذا[3].

وإذا قلنا إن امرأ القيس قد رأى هوى أم جندب لعلقمة في عينيها قبل أن تحكم لهُ لأن امرأ القيس كما أسلفنا كان مشهوراً بمغامراته مع النساء، وإن كانت أم جندب قد تأثرت بهذا الهوى إلاّ أن علقمة - فيما يبدو- قد استمالها في نصه الذي عبّرفيه عن خبرته بالنساء، إذ يقول:

**فــان تســألوني بالنســاءِ فــإنني ... بصــيرٌ بــأدواء النســاءِ طبيــبُ**

**إذا شــابَ رأسُ المــرءِ أو قــلّ مالــهُ ... فلــيَس لــهُ مــن ودهــنَ نصــيبُ**[4]

---

(1) م. ن، ص 27.

(2) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، الدكتور طه الحاجري، ص 38.

(3) ينظر: م. ن، ص 38.

(4) ديوان علقمة بن عبدة، تحقيق لطفي الصقال، ص 35-36.

obeikandi.com

هذا إن كان الحكم قد انطلق من تلك الاستمالة المشار إليها مع إدراكنا أن المرأة العربية في أي عصرٍ كان لايمكن أن تستمال بهذه السرعة المذهلة، ولايمكن أن تقف بوجه زوجها، فضلاً عن تعصب العربي لقومه فالروح العصبية توغَّلت في إنسان عصر ما قبل الإسلام الذي لايستطيع الإفلات من أسرها بدليل قول دريد بن الصمة:

**ومــا أنــا إلاّ مــن غزيّــة إن غــوت غويــتُ وإن ترشــدْ غزيّــة أرشــدِ**[1]

وإذا نظرنا إلى ما وصفت به المرأة العربية في العصر الجاهلي فإنها من دون شك تمتلك صفات حميدة جمّة لايمكن أن يسمح لها سلوكهاأن تقف تلك الوقفة التي وقفتها (أم جندب)، إلاّ إذا كان ذلك من باب الامتحان لزوجها لعله يتعففُ ويكفُّ عن مغامراته.. ففي ذلك قد يلتمس لها العذر.أمّا مهمتها النقدية الفنية فقد أدَّتها على أكمل وجه.

ومايهمنا من ذلك تلك الأحكام النقدية التي جاءت على وفق الشروط التي اقترحتها وطبقتها - فيما يبدو- على بيت القصيد لكلا الشاعرين وطالما عللت سبب تفضيلها لعلقمة فإن نقدها هذا يعدُّ نقداً موضوعياً استندت إليه النظرية النقدية عند العرب. ولعل النتيجة المهمة التي وصلنا إليها من هذا المنحى الشعري والنقدي هو تأصيل لفن المعارضة في الشعر العربي الذي يرجع نشأته إلى العصر الجاهلي، ونجد في قصيدتي امرىء القيس وعلقمة مثالاً لفن المعارضة الفنية التي لا حظت بذرتها أم جندب وبها قدمت علقمة على أمير الشعراء[2].

---

(1) ديوان دريد بن الصمة، تحقيق الدكتور عمر عبد رسول، ص 46.

(2) ينظر: تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب،ص5.



obeikandi.com

والمعارضة في الشعرالعربي أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة فيقول قصيدته من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصاً على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سبه ودون أن يكون فخره صريحاً علانية، فيأتي بمعانٍ أو صور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل أو جمال التمثيل أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة" [1].

وتأسيساً على هذا فإن مثل هذا النقد لايحتاج إلى التشكيك في نسبهِ إلى عصر ماقبل الإسلام، لأن نماذجهم النقدية تستند إلى نضج في التفكير واستواء في المذهب الشعري والإلمام بمقررات لغوية وعلمية فهذه الحجج في طبيعتها واهية؛ ذلك"أن العصر كان جديراً أن يخلقَ لنا حصاداً نقديّاً أضخم وأعمق من ذلك، لولا أن ذلك التراث لم يدوّن فلقد تخطّى الشعر العربي... مرحلة الطفولة، إذ قصّدت القصائد وثبتت الأوزان واستقر نظام القوافي وأحكم بناء القصيدة وسادت قيم فنيّة عالية تمثل عمود الشعر، كل ذلك والنقد – بعد- يحبو ويتعثّر في أذيال الطفولة، وغير معقول أن يخطو الشعر خطواته تلك في طريق النضج الاّ في ظل نقدٍ موضوعيٍّ واعٍ، وذلك مالم يصل إلينا الاّ القليل، فهذا النقد نتاج عصره وجدير أن يكون كذلك، بل إنه أقل مما نرجوه من عصرٍ بلغت فيه التقاليد الشعرية حدّاً من الثبات لدرجة أثّرت معها في الشعر على اختلاف العصور حتى عصرنا الحديث" [2] ولم تقف عند ذلك بل إنها مازالت وستظل – إلى ماشاء الله - رافداً ومعيناً ثرّاً له.

---

(1) م. ن، ص 7.

(2) بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث الدكتور إسماعيل الصيفي، ص 47.

**النقد في مجلس قيس بن ثعلبة:**

روي أن المسيّب بن علس مرّ يوماً بمجلس قيس بن ثعلبة فاستنشدهُ فأنشد:

**ألاّ انعم صباحاً أيّها الربع واسلمِ … نحيّيك عن شحطٍ وإن لم تكلّمِ**

فلمّا بلغ قوله:

**وقد أتناسى الهمّ عند اد كارهِ … بناج عليه الصيعريّة مكدمِ**

قال طرفة وهو صبي يلعب مع الصبيان: لقد استنوق الجمل. فقال المسيّب: " ياغلام اذهب إلى أمّك بمؤيدة – أي داهية – قال: طرفة: لو عاينت فعل أمّك حالياً نهاك. فقال المسيب: من أنت؟ قال: طرفة بن العبد، قال: مأأشبه الليلة بالبارحة، يريد مأأشبه بعضكم في الشر ببعض"[1].

وجاء في الشعر والشعراء "أن هذا البيت للمتلمس فلمّا قال طرفة :(استنوق الجمل) ضحك الناس وصارت مثلاً، فأتاه المتلمس وقال له: اخرج لسانك، فأخرجه، فقال: ويلٌ لهذا من هذا. يريد ويلٌ لرأسه من لسانه"[2].

(1) الموشح، أبو عبدالله المرزباني، ص 109-101، والبيتان في ديوان المسيب بن علس.

(2) الشعر والشعراء، ابن قتيبة 183/1 والبيت في ديوان المتلمس الضبعي، تحقيق الدكتور حسين عطوان،ص148.



obeikandl.com

فالناقد في كلتا الحالتين هو طرفة بن العبد والبيت هو نفسه مصدر النقد. ويبدو أن طرفة قد وفق في استدراكه على الشاعر لأن الصيعرية سمة للنوق الأناث، تكون في عنق الناقة لا في عنق البعير، وإطلاقها على الذكور خطأ، وقد اعتمد طرفة على ذوقه الذاتي ومعرفته اللغوية[1]. ولكن ليس معنى هذا أنه يمكن الجزم بخطأ المسيب فيما نيب إليه، فقد تكون الصيعرية عند بعض العرب، أو في بعض الاستعمالات عيباً في ذكور الإبل وفي أناثها[2] فإذا كان كذلك فإن الأمر يعود إلى البيئات، والبيئة التي عاش فيها طرفة لا تطلق (الصيعيرية) إلا صفة للإناث وعلى هذا الأساس وفق طرفة في نقدهِ اللغوي هذالأنه " أدرك بحاسته الأدبية أن الشاعر جاء في منطلق الأشياء وخلط، إذ وصف الجمل بسمة من سمات الناقة، ودفعته جرأة الصبي وسذاجته إلى أن يعلن ريبته فيما سمع"[3]، فوضع يده " على علة

---

(1) لقد تعددت الروايات لهذا الخبر، ويرى المرزباني أن طرفة قال: هذا القول لعمرو بن كلثوم التغلبي الذي أنشد قصيدته لعمرو بن هند وقد طلب منه أن ينشده شعراً يصف فيه جملاً، فبينما هو في وصفه خرج إلى ماتوصف به الناقة فذكر البيتين السابقين، فقال طرفة :(استنوق الجِمل) فذهب عمرو بن كلثوم غاضباً لفخر طرفة عليه، الذي أنشد شعراً يفخر فيه بأيام بكر على تغلب، ويرى عمرو بن كلثوم أن عمراً بن هند قد مال إلى طرفة، ينظر: الموشح، ص 110-111.

ويبدو أن طرفة قد جمعه بعمرو بن كلثوم موقف غير هذا وقال فيه ماقال اما مقولته:(استنوق الجمل) فنرجح أنه قالها للمسيب بن علس، لانه قد أخذ عليه موقفاً آخر في وصف الناقة:

وكأن غارِبُها ربأو ة محرمٍ وتمد ثنى جديلها بشراعِ

أراد تمد جديلها بعنق طويلة، أراد أن يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع، فلم يعرف الشراع من الدقل" الشعر والشعراء 183/1، والبيت في ديوان المسيب، ص 24، تحقيق الدكتور أيهم القيسي. ونخلص من هذا إلى أن النقد لم تكن حصراً على المختصين، بل كانت تضم عامة الناس حتى الصبيان. فليس غريباً ان يستدرك طرفة هذا المأخذ وهو واحد من شعراء عصره.

(2) ينظر القاموس المحيط الفيروز أبادي 69/2.وقد ذهب إلى ذلك الجواهري كما أشار إليه صاحب القاموس.وأكد ابن فارس أن الصعيرية سمة من سمات النوق في أعناقهاُ فقال:"ولعل فيها اعتراضاً"واستشهد ببيت المسيب. ينظر:معجم مقاييس اللغة 288/3. 289.

(3) اتجاهات النقد الأدبي العربي، د فرهود، ص106.



obeikandl.com

الخطأ الموجود في البيت فهو نموذج من النماذج القليلة التي ظهر فيها النقد الموضوعي في العصر الجاهلي، بالإضافة إلى أن غاية طرفة من نقده هذا غاية فنية بحتة، تهدف إلى إصلاح الشعر، دون تعصب أو هوى شخصي، لأن العيب الذي أدركه كان عيباً فنياً عاب به الشاعر "[1] وهذا يدل على أن لطرفة بن العبد موقف نقدي رائع، فضلاً عن الموهبة المبكرة والحاسة اللغوية الدقيقة والتقنية الفنية فكل هذه الأدوات أسهمت في إظهار هذا النقد.

### النقد في مجلس ربيعة بن حذار الأسدي:

ومن المجالس الأدبية في عصر ماقبل الإسلام مجلس ربيعة بن حذار الأسدي فقد كان حكماً بين شعراء بني تميم، إذ تحاكم إليه جمع منهم: الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب، والمخبّل السعدي في أيهم أشعر بعد أن قالوا " لو أن قوماً طاروا من جودة الشعر لطرنا"[2] فقال ربيعة للزبرقان:

"أما أنت فشعرك كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيئاً فينتفع به وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر يتلألأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها نقص البصر، وأما أنت يا مخبَّل فإن شعرك قصر عن شعرهم وأرتفع عن شعر غيرهم. وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر"[3].

وبتأملنا هذا النص النقدي نجد أن الشعراء يتفاخرون بجودة شعرهم جميعاً ومختلفين في الأشعر منهم، ثم أن الناقد أعطى رأيه فجعل يصف لكل واحد منهم شعره ولجأ في ذلك إلى تشبيهات مادية تماثل تلك التي يعرفها العربي ويألفها في بيئته ليعبر عن إحساسه ورأيه في شعر كل منهم بأسلوب نقديّ مهم في ذلك العصر، واستند في ذلك إلى أحكام ذاتية وموضوعية، ويمكننا أن نرى خبرة الناقد بالشعر وذوقه الخاص قد أنضج له حكماً نقدياً فسّره بألفاظه تلك، فقد

---

(1) الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي، الدكتور عبد اللطيف محمد الحديدي، ص 67.

(2) الأغاني 44/12.

(3) الموشح: 107-108.

وجد أن شعر الزبرقان قد جمع الطيب والردئ، فلم يبلغ درجة النضج والاكتمال، لأنه فَقَدَ الجزالة وحرارة العاطفة، التي تجعل له طعماً مميزاً وذلك لأن شعره لا يرقى إلى درجة الجودة بل إنه فاسد لاغناء فيه.وبهذا فقَدَ قوة المعنى وتتحدد قيمة النقد هنا بين الجودة والرداءة أو بين القوة والضعف مع أن ابن سلام قد وصف الزبرقان بأنه كان " شاعراً مفلقاً.. وكان حليماً.. وقد تقدم عليه المخبل بالهجاء"(1).

أما شعر عمرو بن الأهتم، فالناقد يرى أنّه يبهر العين فتعجب به لأول نظرة، لأن ألفاظهِ براقة وأساليبه خلاّبة فإذا فتش الناظر في حقيقته واستكنه معانيه لم يجد شيئاً. فالشكل هو الذي يبهر الناظرأكثر من المضمون.فالنقد في هذا الموضع ينظر إلى جودة التوافق بين اللفظ والمعنى.

و يبدو أن الشعر في بعض أضربه هكذا، ،فقد قال: أحد النقاد الغربيين أن القصيدة كالبصلة إذا أردتَ أن تفتش عمَّافيها فأنت تورّق ورقها ورقةً ورقة حتى تصل إلى اللاشيء وإلا فما روعة هذه الأبيات:

**فلما قضينا من منى كل حاجةٍ وَمَسّحَ بالأركان من هو ماسح**

**وشدّت على حدب المهارى رحالنا ولم ينظر: الغادي الذي هو رائح**

**أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح**(2)

وقد أعجب النقاد بهذه الأبيات، مع إدراكنا أن بعض النصوص قد تصل إلى هذه الحال لأن للنص الفني وجود بنفسه، قيمته من وجوده فقط لا ما يعنيه هذا الوجود(3).

وقد ذكر ابن قتيبة هذه الأبيات عندما تحدث عن أضرب الشعر الأربعة وجعل هذا الشعر في الضرب الثاني الذي حلا لفظه وكانت معانيه مما هو متداول، وقال: إن هذا الصنف من الشعر كثير وضرب مثلاً لذلك بهذه الأبيات التي ذكرناها.

---

(1) طبقات فحول الشعراء 117/1.للاستزادة ينظر: الشعراء النقاد في العصرين الجاهلي والإسلامي80 . 81.

(2) ينظر: الشعر والشعراء 66/1 والأبيات في شعر يزيد بن الطثرية، صنعة الدكتورحاتم الضامن، ص 64. ل.

(3) ينظر النقد المنهجي عند العرب، الدكتور محمد مندور، ص 33- 35.



obeikandl.com

أمّا شعر المخبّل السعدي فيبدو أنه احتل مرتبة الوساطة فلا يصل بصاحبه إلى مرتبة الفحول، ولايضعه في الدرك الأسفل إلى درجة المتشاعرين، وإذا اسندناه إلى طبقة ما - على وجه الإفتراض - فإنه يكون أشبه بالفحول.

ويبدو أن شعر عبدة بن الطبيب قد استمال الناقد، إذ يرى أن شعره قوي الأسر، متين النظام، متلاحم، متماسك بلغ حدّاً من الجودة والمتانة، إذ لايرى الناظر في شعره ضعفاً، ولايلمح في أساليبه ومعانيه وهناً، فهو أشعر الشعراء الأربعة في نظر الناقد الذي يبدو أنه على بيّنة تامّة من شعر الشاعر، لأنه لم يصدر حكماً عاماً، ولم يخلُ من التعليل، فهذا النص وإن كان فيه شيءٌ من الروح الانطباعية العابرة ولمسات التأثير، وبساطة الذوق الشخصي، فإن فيه من التعليل الجزئي ما أوضحناه آنفاً، وهو يكفي بأن يكون نقداً جزئياً، إن لم يكن نقداً له أصوله ومناهجه واتجاهاته، إذ إنه "لايحوي بعض المقاييس الفنيّة والملاحظات المعتمدة على الدراسة والتأمل للنص المنقود"(1). كما أن هناك شيئاً يجب أن نذكره وهو الحكم العام على شعركل واحد من الشعراء الأربعة. فهل الشعراء أنشدوا في هذا المجلس شيئاً من شعرهم ؟ أم أن الحكم انصب على شعر هؤلاء جميعاً ؟ من المعروف أن الشعراء لايحتكمون إلا إلى ناقدٍ فذٍّ ملمٍّ بأشعار العرب وأخبارهم وأنسابهم ويمتلك ذوقاً مميزاً، وهذا يقودنا إلى أن ربيعة بن حذار كان كذلك وهو من دون شكٍّ كان مطّلعا على شعر هؤلاء جميعاً وغيرهم من الشعراء فإذا كان معهم شعراء في هذا المجلس لما تردد ربيعة عن الحكم، والعربي كان بطبعه على هذه الحال يحب الشعر ويتذوقه وينشده وينقده وإلا لماذا يقال: الشعر ديوان العرب؟.

واستناداً إلى هذا النص رأى الدكتور إحسان عباس" أن هذا الأنموذج من أرقى الأمثلة وأكثرها دلالةً على طبيعة النقد الأدبي " قبل أن يصبحَ لهذا الشعرِ كيانٌ واضحٌ، فهو أنموذج يجمعُ بين النظرة التركيبية والتعميم والتعبير والانطباع الكلي دون لجوءٍ للتعليل وتصوير مايجول في النفس بصورة أقرب إلى الشعر نفسه"(2).

---

(1) مقالات في تاريخ النقد العربي،الدكتور داوُد سلّوم، ص 33.

(2) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، الدكتور إحسان عباس، ص 13.



openkamal.com

وأكّد الدكتور عناد غزوان "أن هذا النص يكشف اهتمام نقد ماقبل الإسلام بالشعر صياغة وفكرة، وهو اهتمام يسمو على مجرد الذوق الشخصي والروح الانطباعية العابرة التي يستبد بها التأثر"(1).

والحق أننا نذهبُ إلى ماذهب إليه الأُستَاذان الفاضلان من أن هذا النص الأنموذج النقدي الذي يدلّ على وجود متلّقٍ ناقدٍ يقدّر الصياغة الشعرية ويدرك معانيها ودلالاتها الفنية. ففي هذا النص تعليلٌ نقديٌّ مهمٌّ ارتبط بالأثر الجمالي للنص الشعري، إذ جعل لكل شاعرٍ أسلوبه الخاص وتقنيته وإجادته أو إخفاقه.ولكن علينا ألاانقيس تلك الأحكام بأحكام هذا الزمان الذي تهيأت له الوسائل والأسس النقدية بيد أن نقد عصر ماقبل الإسلام كان الحجر الرئيس والبذرة الأولى لنشوء النظرية النقدية العربية.

**النقد في مجلس هرم بن قطبة الفزاري:**

لَقد عُرِفتْ عند العرب قبل الإسلام مجالس يجتمعون فيها لتبادل الأخبار والبحث في شؤونهم العامة التي تخص القبيلة، مثل نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة، ولم تخلُ تلك المجالس من إنشاد الشعر وروايته، وقد عرفت أسواق العرب التجارية وأشهرها سوق (عكاظ) بزحمة الشعراء، وهم يتناشدون الأشعار، فتدور بينهم المفاخرات والمقارعات والمعاظمات. والمعاظمة في المصائب حين تدعي المرأة أنها أعظم العرب مصيبة كما حدث على الملأ معاظمة الخنساء وهند بنت عتبة، فكل واحدة منهما تدعي أنها أعظم العرب مصيبة، وتعد هذه أشهر المعاظمات، إذ سوَّمت الخنساء هودجها في الموسم، وعاظمت العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية وقالت أنا أعظم العرب مصيبة، وعرفت لها العرب بعض ذلك، ومن ثم قامت هند بنت عتبة فقالت: أنا أعظم من الخنساء مصيبة وسوَّمت هودجها براية، وشهدت الموسم بعكاظ، وقالت: اقرنوا

(1) تاريخ النقد الأدبي، الدكتور عناد غزوان وآخرون، ص 49.

جمل الخنساء بجملي وعاظمتها بأبيها عتبة بن ربيعة، وعمها شيبة بن ربيعة وأخيها الوليد بن عتبة الذين قتلوا في بدر ثم قالت كل منهما شعراً تذكر به من فقدت، فيه وحدة البحر والقافية [1] وهذا النوع هو ضربٌ من المفاخرات. والمفاخرة كما يقول أحمد الشايب: " من الفخر وهو التمدح بالخصال وإدعاء العظم والكبر والشرف، وتفاخر القوم بعضهم على بعض، والأصل في هذا الفن أن يفخر شاعر أو ناثر بذكر مآثره دوماً ومآثر قومه، فيرد عليه آخر بمثل ذلك دون التزام البحر والقافية، أو هجاء أو تسابّ أو الالتجاء إلى حكم، وإن كان ذلك يقوم في المحافل كثيراً. والمفاخرة فنٌّ قديمٌ كان له شأنٌ جليلٌ في الحياة الأدبية في الجاهلية "[2].

وطبيعة هذا الفن تؤكد أن العربي يدرك المصطلحات التي تسهم في بنية القصيدة، ويدعم ما ذهبت إليه أم جندب في ذكرها للمصطلحات العروضية.وكذلك بالنسبة للمنافرة على الأحساب. والمنافرة من النفر وهو التفرق، والنفر الرهط، ونافرتُ الرجل منافرة إذا قاضيته والمنافرة المفاخرة والمحاكمة القائمة على الفخر بين شاعرين يتنازعان على الشرف والحسب والرياسة ؛ ويضربان لذلك موعداً ويضعان حَكَمَاً من أشراف العرب المعروفين بالفصاحة والحكمة والعلم بأخبار العرب وأنسابهم[3].

وقد قال أبو عبيدة :المنافرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكّمان بينهما رجلاً كفعل علقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل حين تنافرا إلى هرم بن قطبة الفزاري، وتمتاز عن المفاخرة إذاً بلزوم التحكيم فيها، . وكان كل من جرير والفرزدق يستأنس أثناء المناقضة، بحكام قريش الذين يفصلون بينهما فيما يتلاحيان فيه من الأحساب والأنساب"[4].

---

(1) ينظر: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني 21/4ـ211.

(2) تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 8.

(3) لسان العرب مادة نفر.

(4) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمد شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري الألوسي 1/ 287.

openkanal.com

ولا ريب في أن المنافرة التي جرت بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين تعد من أقدم المنافرات وأهمها، وقد أخذت أبعاداً أدبية ونقدية ودلالية كثيرة، وكان المتنافران قد أقاما عند هرم بن قطبة بن سنان مدة ليحكم بينهما بعد أن تحرج كثير ممن طلب منه أن يحكم بينهما، وكان مع عامرلبيد والأعشى، ومع علقمة بن علاثة الحطيئة وبعض بني الأحوص، وتعد هذه المنافرة من أشهر ماجرى في الجاهلية لكثرة من اشترك فيها من كبار الحكام منهم: أبو خزيمة بن عمرو بن الرجيد، وعيينة بن حصن بن حذيفة وغيلان بن سلمة بن معتب الثقفي وحرملة بن الأشعر المري وسفيان بن حرب، ثم إلى أبي جهل بن هشام بن المغيرة، وكلهم تحرَّجوا في الحكم فلم يقولوا بينهما شيئاً إلى أن صار الأمر إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري[□] فأخذالخصمان يتناشدان في المقارعة"[بر] فقال علقمة في هذه المنافرة: إن شئت نافرتك فقال عامر قد شئت. وقال عامر: والله أنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً وأطول منك قصباً. فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً نهارا: ولكني أنافرك إني خير منك أثراً، وأحدُّ منك بصراً) فهو يعير عامراً بنقص بصره في هذه المنافرة، وكان قد أصيب بطعنة رمح في عينه في يوم(فيف الريح) وهو من أيام العرب في الجاهلية" وقال عامر: أنت رجل ثار، وليس لبني الأحوص فضل على بني عامر في العدد. وبصري ناقص وبصرك صحيح. ولكني أنافرك أني أسن منك سنة وأطول منك قمة، وأحسن منك لمَّة وأجعد منك جُمّة وأبعد منك همّة. فقال علقمة: أنت رجل جسيم وأنا رجل قضيف وأنت جميل وأنا قبيح، ولكن أنافرك بآبائي وأعمامي، فقال عامر :آباؤك أعمامي ولم أكن أنافرك بهم ولكني أنافرك أني خير منك عقباً وأطعم منك جدباً. قال علقمة: قد علمت أن لك عقباً في العشيرة وقد أطعمت طيباً إذا سارت، ولكني أنافرك أني خير منك وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم. ويروى أن أم عامر كانت تسمع كلامهما فخرجت وقالت: يا عامر، نافره بالخيرات. فقال عامر: والله

(1) ينظر: الأغاني 308/16.

(2) م، ن 305/16 . 307.



obeikandi.com

لأنا أركب منكَ: في الحُماة وأقتل منكَ للكماة وخير منك للمولى والموالاة. فقال له علقمة إني أعز منك وإني لبرٌّ وإنك لفاجر وإني لوفيٌّ وإنك لغادر، ففيم تفاخرني ياعامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقفرة وأنحر منك للبكرة وأطعم منك للهبرة وأطعن منك للثُّغرة. فقال علقمة: والله إنك لكليل البصر نكد النظر وثَّاب على جاراتك بالسحر.."(1) إلى ماهنا لك. و من ثم احتال للأمر هرم بن قطبة وقال:

"لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثمَّ لست أثق بواحدٍ منكما فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول وتسلِّما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالإنصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه فخرج علقمة ببني الأحوص وخرج عامر ببني مالك، وقد كان يقول عامر: يابني مالك إنها المقارعة عن أحسابكم "(2). فأنشد كل طرف منافراته وقيل: إن الفريقين أقام عند هرم أياماً، وقد كان هرم يمتلك من الحكمة والذكاء والدهاء ما يمكنه من الحكم " فأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة فقال: ياعامر قد كنت أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لاتفخر أنت وقومك إلاّ بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟ قال عامر: أنشدك الله والرَّحِم لا تفضل علي علقمة، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوِّ بينه وبيني. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي، فخرج عامر وهو لا يشكُّ أنه ينفِّره عليه.. ثم أرسل إلى علقمة سراً، فأتاه فقال يا علقمة الله أن كنتُ لأحسب فيك خيراً، وإن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمّك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً، وأحمدهم لقاءً؟ فما الذي أنت خير به منه عشراً، فقال علقمة: أنشدك الله والرحم لا تنفّر علي عامراً. أجزز ناصيتي واحتكم في مالي، وإن

---

(1) الأغاني 305/16. 307 وينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 1/ 287.

(2) الأغاني 309/16.، 311.



openkandi.com

كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف، فسوف أرى رأيي فخرج وهو لا يشكّ في أنه سيفضّل عليه عامراً [□].

فاستدعى هرم كلاً من عامر وعلقمة، وخاطب كلاً منهما بذلك الأسلوب النثريّ الجميل، كان له صداه في قبول الحكم، فقد وفق حين عمد إلى تصوير المتنافرين في أن كلاً منهما أفضل من خصمه، فيتخيَّل كل منهما أنه سيفضل عليه صاحبه: وقد أكتفى كل منهما، بالتسويه في الحكم. وبعد هذه المنافرة الطويلة والمهمة في الأدب العربي ونقده " جلس هرم على مجلسه وأقبل الناس إليه، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد وقال:

يـاهرم بـن الأكـرمين مَنصـبا ... إنّـكَ قـد وليـت حكمـاً معجبـا

فـاحكم وصـوِّب رأس مـن تصـوّبا ... إن الـذي يعلـو علينـا ترتبـا

لخيـرنا عمـاً وأمّـاًوأبا ... وعامـرٌ خيـرهما مُركَّـبا

فلما كان إعلان الحكم قام هرم فسوى بينهما قائلاً: "يابني جعفر قد تحاكمتما عندي،وأنتما كركبتي البعير الأدرم تقعان على الأرض معاً. وليس فيكما أحدٌ إلا وفيه ماليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم "[بر]. وفي رواية أن هرماً قد امتنع عن الحكومة وانتدب الأعشى، وكان أدهى من الحطيئة، وأشد تحنكاً، وكانت لعامر عنده يدٌ فقال قصيدتيه: الرائية وتبعها بالصادية وفيهما هجوٌ شديدٌ لعلقمة ومدحٌ لعامر بن الطفيل، فذاع حكمه في الناس واشتد وقعه على علقمة، وقد تحرّج صاحب السيرة و الخزانة من رواية القصيدتين، لأن النبي ﷺ نهى عن روايتهما حينما قال لحسان بن ثابت:"أنشدنا من شعر الجاهلية ما عفا الله لنا منه فأنشده قصيدة الأعشى في هجاء علقمة بن علاثة التي أولها:

---

(1) الأغاني 16/313. 314.

(2) م، ن 312. 313



obeikandi.com

**علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتارَ والواتر**

فقال الرسول ﷺ: ياحسان، لا تنشد مثل هذا بعد اليوم. فقال حسان: يا رسول الله ما يمنعني من رجل مشرك عند قيصر اذكر هجاء له ؟ فقال: يا حسان إني ذُكِرْتُ عند قيصرَ وعنده أبو سفيان بن حرب وعلقمة بن علاثة، فأما أبو سفيان فلم يشكر فيَّ وأمّا علقمة فحسَّنَ القول، وانّهُ لايشكر الله من لا يشكر الناس. فقال حسان يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره"[1] وشبيه بهذا مارواه وكيع عن ابن الزهري قال: "رخص رسول الله في الأشعار كلها إلا هاتين الكلمتين التي قالها أمية بن أبي الصلت والتي قالها الأعشى في علقمة بن علاثة "[2]

وقد قال الأعشى:

**شاقتْكَ مني قتلةً أطلالها بالشطّ فالوتر إلى الحاجر**

وقال فيها:

**علقمَ لا لست إلى عامر الناقم الأوتار والواتر**

**سدّت بني الأحوص لم تعدهم وعامرٌ ساد بني عامر**

وقال فيها:

**حكّمتمونى فقضى بينكم أبلجُ مثل القمر الزاهر**

**لا يأخذُ الرشوة في حكمه ولا يُبالي غبنَ الخاسر**

ويبدو أن علقمة قد هدد الأعشى حين ذاع حكمه في تنفير عامر عليه فرد الأعشى على تهديده بقصيدة أخرى مستخفّاً به، وقد كان من أشد أبياتها إيلاماً لعلقمة هو :

**تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاءً بُطُونُكُمْ وَجارَاتُكُمْ غرْثى يَبِتْنَ خمائصاً**

---

(1) خزانة الأدب 2 / 43.

(2)م. ن 2 / 43.

وقد زعم الرواة أن علقمة بكى حين سمعه وقال: قاتله الله! أنحن كذلك؟ ويروى " أن علقمة لما قرع سمعه البيت بكى، وقال: اللهم أخزه واجزه عني إن كان كاذباً "(□)، وكان كما يروى أن علقمة وعامر قد ساق كل واحد منهما معه إبلاً لينحرها عند الحكومة، وبعد حكم الأعشى_الذي لم يحيد عن عامر- قام أصحاب عامر إلى الإبل ونحروها، ويقال: إن الحكم نفسه هو الذي أغضب الحطيئة، وقال في علقمة:

**فما ينظر الحكام بالفضل بعدما … بدا واضحٌ ذوغُرَّةٍ وخجولِ**

وقال:

**يا عام قد كنت ذا باغ ومكرمةٍ … لو أن مسعاه من جاريته أمم**

**جاريت قوماً أجاد الأحوصان به … ضخم الدسيعة في عرنينه شممُ**(بر)

فلم يغن ذلك عنه شيئاً لما سبق إليه الأعشى.

وكان لهذه المفاخرات والمقارعات أثرها الكبير في تنمية ملكات الشعراء، إذ كانت تحفزهم على نظم الشعر بسرعةٍ، والشاعر الذي يسكت على خصمه يعد مغلوباً فكان قول الشعر يجري في كثير من الأحيان ارتجالاً وعلى البديهة.

أما المناقضات أو النقائض فهي تراشق بسهام الهجاء ذياداً عن العشائر مع توفر عنصر التبادل والمقابلة بالمثل. فالشاعر ينقض معاني خصمه بمصاولة

---

(1) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألوسي 3 / 128.

(2) م. ينظر: الأغاني 304/16-319.وكتاب الزينة في الكلمات العربية والإسلامية، ص 104-105 والعمدة53/1. والقصيدة في ديوان الأعشى، ص189-199. وأبيات الحطيئة في ديوانه، ص. ومن المعروف أن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة الكلبي من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهما يلتقيان عند الجد الثالث لعلقمة والجد الثاني لعامر. وقد كانت السيادة في بني كلاب خاصة، وفي عامر بن صعصعة عامة، للأحوص جد علقمة.وكان الأحوص على رأس عامر يوم (رحرحان) وأخوه مالك بن جعفر يشهدها ومعه أبناء عامر والطفيل. فلما مات الأحوص انتقلت السيادة إلى ابن أخيه عامر بن مالك، وهو أبو براء الملقب بملاعب الأسنة. فلما أسن أبو براء تنازع علقمة وعامر على الرياسة. عامر يرى أنها يجب أن تنقل إليه لأنها في عمه، وعلقمة يرى أنها كانت في جده الأحوص ' وإنما انتقلت إلى ابن براء بسببه لأنه ابن أخيه. وشرى بينهما الشر حتى صار إلى المنافرة.

اللسان، وقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي هذا المعنى في قوله: "والمناقضة في الأشياء، نحو الشعر كشاعر ينقض قصيدة أخرى بغيرها والاسم النقيضة ويجمع نقائض ومن هذا نقائض جرير والفرزدق "[1].

ومن المناقضات الجاهلية المهمة مادار بين امرئ القيس وعبيد بن الأبرص الأسدي وخاصة بعد أن قتل بنو أسد ملكهم حجراً أبا أمرئ القيس، فقال فيه الشاعر امرؤ القيس شعراً كله تهديد ووعيد مصمماً على الثأر منهم، وكان شاعر بني أسد بالمرصاد له فرد عليه بالمثل. ولما تعقب امرؤ القيس بني أسد ففاتوه ولقي كنانة ووضع فيهم السلاح خطأ قال:

**ألا يا لهف هندٍ إثر قومٍ ... همُ كانوا الشفاء فلم يصابوا**
**وقاهم جدُّهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقابُ**
**وأفلتهنَّ عِلباءٌ جريضاً ... ولو أدركته صَفِر الوطابُ**

ولما بلغت هذه الأبيات عبيداً نقضها بقوله :

**أتوعدُ أسرتي وتركتَ حُجْراً ... يُريغُ سواد عينيه الغرابُ**
**أين دين الملوك فهم لقاحٌ؟ ... إذا ندبوا إلى حربٍ أجابوا**
**فلوا أدركت عِلباء بن قيسٍ ... قِنعتَ من الغنيمة بالأيابِ**

وإن كان الإقواء ظاهر في قول عبيد إلا أنه يعيّر امرأ القيس بمصرع أبيه، ويهدده بقومه ويرميه بقصور همته دون الانتقام من بني أسد. وعلى الرغم من ادعاء امرئ القيس أنه ظفر بثأره، فإن القصة تدل على خلاف ذلك بدليل انصراف أنصاره عنه مع قلتهم، وبلاء بني أسد في سبيل حريتهم وسخرية عبيد به ومطاردة المناذرة له والتجائه إلى السموأل، فالغساسنة، فالروم ثم مصرعه آخر الأمر[2].

ويرى الأُستَاذ أحمد الشايب أن "هذه الشواهد وغيرها مما ورد في ديواني امرىء القيس وعبيد بن الأبرص متصلة بيوم حجر تدل على أن هذا الحوار لم يتخذ صورة المناقضة دائماً، وإنما تردد بين الرد والحوار أيضاً، مما يمثل طفولة

(1) لسان العرب مادة نقض 7 / 242 . 243.

(2) تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 49.

هذا الفن بين هذين الشاعرين "(□) وإذا ماأخذنا حساناً مثالاً واقتصرنا الأمر على شعره الجاهلي فإننا نرى أن أهم مناقضاته كانت مع كل من: قيس بن الخطيم وأبي قيس بن الأسلت ويزيد بن طعمة الخطمي وعبيد بن نافذ وهؤلاء كلهم من الأوس وكان ذلك من خلال الأيام التي وقعت بينهم وهي: مناقضته مع قيس بن الخطيم وقد تمت من خلال الأيام الآتية (يوم بعاث) و(يوم سمير) و (يوم السراة) و(يوم الربيع) و(يوم الدرك).

أما مناقضات حسان مع أبي قيس بن الأسلت فقد تكررت مرتين فقط: (يوم خطْمة) وهو موضع في أعلى المدينة وكانت يوم بعاث أيضاً، و(يوم الجسر) في حين كانت مناقضته مع عبيد بن نافذ يوم (بقيع الفرقد). وبقيع الفرقد: مقبرة أهل المدينة(بر).

(1) تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص 49.

(2) ينظر: أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، منذر الجبوري، ص وأيام العرب في الجاهلية، جاد المولى وآخرون، ص 62ـ 68. وتاريخ النقائض في الشعر العربي،78ـ 79، 84 . 89، 80، ومعجم البلدان473/1.، والكامل في التاريخ 674/1، وينظر: ديوان حسان، ص 316ـ 317،131، 29ـ30، 394، 313 ـ 314، 335ـ 336، 360. وديوان قيس بن الخطيم، تحقيق الدكتور السامرائي، ص 38 ـ 40،، 44 ـ 47 8 ـ، 30 وينظر مناقضة حسان مع قيس بن الأسلت في الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام،، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل 3 / 71 ـ 76.



obeikandl.com

## المبحث الثاني

### النقد في المجالس الأدبية الخاصة

من المعروف أن العرب كما ذكرنا كانت أمة شاعرة ومجاهدة، جاهدت من أجل امتلاك زمام الأدب عامة والشعر خاصة فكانت هناك مجالس خصصت لإنشاد الشعر وتقويمه وتقديره فأنشد الشعراء شعرهم في هذه المجالس، وكان لهذا الشعر صدى في نفوس متلقيه ومتذوقيه فقد تمثلوا به واستمعوا إلى روايته في مجالسهم وكان من ينقد ويعدل للشعراء ما احتاج نتاجهم إلى تعديل.وقد أشارت مصادر إرثنا الشعري والنقدي إلى مجالس نقدية خاصة في العصر الجاهلي توزعت على الحجاز والعراق والشام واليمن(1).

### مجلس قريش النقدي:

ولقريش ذوقٌ أدبيٌّ يختلف عن ذوق القبائل الأخرى وذلك لأسباب تفرّدت بها قريش منها أنها قبلة الحجيج لقبائل العرب جميعاً، وفيها تقام أسواق العرب التجارية، فضلاً عن سوق عكاظ الأدبي، فيسعى الشعراء لينظموا بلغة قريش التي كانت تمتاز بفصاحتها وحسن لغتها ورقة السنتها.

ومن هنا كانت لأحكام قريش النقدية أهميتها، وهي أحكام تفوّقت على أحكام القبائل الأخرى. وكان للشعر الذي تتخيره قريش نصيبٌ، من الذيوع والانتشار، فإذا ماقدمت شاعراً على غيره فإن حكمها يعتد به. ومن ذلك حكمهم على علقمة وقد أنشدهم قصيدته:

**هل ما علمتَ ومَا استُودِعتَ مكتومُ**     **أم حبلها أن نأتكِ اليوم مصروم**

فقالوا: هذه سمط الدهر. ثم عاد بعد عام فأنشد:

**طحا بك قلبٌ في الحسانِ طروبُ**     **بُعيدَ شبابٍ عصرَ حانَ مشيبُ**

---

(1) ينظر: الموشح 46، والعمدة 51/1 . 52.

فقالوا: هاتان سمطا الدهر[1]، إذ أرادوا أن هاتين القصيدتين قد خلتا من العيوب وهذا دليل واضح على أن عرب ماقبل الإسلام قد عرفوا الموازنة بين القصائد ولاسيما قصائد الشاعر نفسه. فكانت آراء قريش دافعاً إلى تجويد الشاعر لشعره، فقد حفز الحكم الأول علقمة على أن يعودَ ثانيةً، ويبدعُ في قصيدةٍ أخرى بعد أن أدرك إعجاب قريش بشعره، ومعرفتها بمكامن البناء الفني في القصيدتين، ففضلوهما على غيرهما من القصائد وعدّوهما سمطي الدهر. وهذا يؤكد أن ماوصل إلينا من شعر ناضج لعرب عصرما قبل الإسلام لم يكن يصل إلى هذه الدرجة من الرقي والإتقان لو لم يتيسّر له من النقد مايقوّمه، ويبيّن معايبه وعثراته، لأن كل بداية لابد من أن يصحبها تخبّط شيئاً فشيئاً وقد يصل النقد إلى مالم يكن في الحسبان، إلاّ أن هذا يتطلب أجيالاً تتعاقب على الإصلاح والتصحيح مع إعطاء نقطة البداية أهميتها، لأنها تمثلت بالتأثيرات العفوية التي انبثق منها المنهج التأثري الذي مايزال مرحلة ملحة ورئيسة وأولية في النقد، ومن ثم فإنه لابد أن يتبع ذلك بمسوغ للإقناع[2].

### النقد في مجالس يثرب:

كانت يثرب ميداناً حيوياً للنقد، وقد ارتبط نقدها بدرجة رئيسة بالعيوب الصوتية وذلك لأن شعراء ماقبل الإسلام راحوا يلاحظون- في أخبار قليلة تقاليد الشعر الأخرى من الوزن واللغة والصياغة ويقيسون صحتها إلى ما كان قد استقر لديهم من تقاليد فنيّة ولغوية، ولم يكد يسلم من هذه الملاحظات النقدية طبقة الشعراء النقاد أوقل النابغة نفسه الذي رأينا العرب في الإسلام تطمئن إلى ذوقهِ الفني وتركن إلى أحكامه في نقد الشعر[3] فقد أخذ عليه أهل يثرب الإقواء في شعره،

---

(1) الأغاني 21/225-226، والبيتان في ديوان علقمة، ص 50، 33. وجاء في لسان العرب (سمط) مانصّه: سمط الجدي والحمل يسمطه سمطاً، علقه وقيل نتف عنه الصوف ونظفه من الشعر بالماء الحار يشويه وسمط الشيء سمطاً علقه.

(2) ينظر: الأدب وفنونه، الدكتور محمد مندور، ص 137.

(3) ينظر: قضايا الشعر في النقد العربي، الدكتور إبراهيم عبد الرحمن، ص 165.



obeikandi.com

ولاسيما في داليته المعروفة، وأسمعوه إيّاها على حياءٍ في غناءٍ وتلطفوا في ذلك بأن جاءوا بقينةٍ فجعلت تغنيّه بهذا الشعر وتشبع حركة الروي وتطيل في البيت الأو ل حتى إذا جاءت إلى البيت الذي يليه أشبعت الضمة في قوله (الغراب الأسودُ) وقوله (يكاد من اللطافة يعقدُ) الذي يظهر في قوله:

**أمن آل ميّة رائحٌ أو مغتدي ... عجلان ذا زادٍ وغير مزوّدِ**

**زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك خبّرنا الغرابُ الأسودُ**

وقوله أيضاً:

**سقطَ النصيفَ ولم تردْ إسقاطَهُ ... فتناولتهُ واتقتنا باليدِ**

**بمخضّبٍ رخصٍ كأن بنانهُ ... عنمٌ يكاد من اللطافةِ يعقدُ**

ففطن لما يريدون وقال: "وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس"[1] ويروي أبو عمرو بن العلاء أنه "بعد أن فطن إلى مايريد عمد إلى تغيير القافية وقال: وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ"[2] وهذه الرواية لها مكانتها في النقد لأنها تعد من الأحكام النقدية المهمة التي عرفها العرب، وقد كان لبعض النقاد استغراب وتعجب من هذا الموقف، فقد استغرب أبو الفضل العلوي مما أخذ على النابغة، إذ قال: "وياللعجب كيف ذهب ذلك عن النابغة مع حسن نقده للشعر وصحة ذوقه وإدراكه لغوامض أسراره، وقد عرفت ماأخذه على حسّان بن ثابت، مما تحار الأفكار فيه ولما نبّه إلى موضع الخطأ لم يصل إلى فهمه، ولم يأبه به حتى غنّت مغنيّة"[3].

وقد تعددت الروايات في هذه القصة، ولكن لم تصل إلى طريق الشك في صحتها خاصة وهي تستهدف شاعراً مثل النابغة الذبياني الذي اعترف له معاصروه

---

(1) الأغاني 14-13/11 وينظر: الشعر والشعراء 157/1 والموشح، ص 45-47 والأبيات في الديوان، ص29-34.

(2) الموشح، ص 46.

(3) نضرة الاغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي، ص 244.

من الشعراء بالتفوق والقدرة والشاعرية، وأشادوا بحاستهِ الذوقية وتمييزه بجودة شعره وملكته النقدية الفاحصة.

فقد لاتُصدَّق هذه المآخذ التي أخذت على النابغة، ولكن كما يقال: لكل حصان كبوة ولكل لسان هفوة، وربما تعمّد الشّاعر ذلك لتغيير إيقاع قصيدته وخدش أذن المتلقي بهذا الخروج امتحاناً، لأن لهذه القصة مكانةً في النقد لأنها" تعكس جانباً من فهم العرب للنقد في مرحلة التدوين الأولى وليس بعيداً أن تصدر مثل هذه الأحكام قبل الإسلام بعد مارأينا كثيراً من الدلائل التي تؤيد ماذهبنا إليه، يضاف إلى ذلك أن هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على النظرة العلمية لكي ننكرها وإنما هي أحكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون معتمدين على الذوق الفطري الذي عرف به العرب قبل الإسلام"[1].

وقد كان ليثرب أثر فاعل في نقد النص الأدبي فهذه الأحكام النقدية ليست هيّنة فقد أعطت لهذه المدينة (يثرب) مكانتها وذلك لأنها ضمّت عدداً من الشعراء الجيدين مما قادهم إلى أن يجعلوا للشعر في يثرب مكانة متميّزة، وقد ذكر ابن سلاّم في طبقاته خمسة شعراء منهم ضمن طبقات شعراء المدن والقرى، وقال: إن شعراء يثرب أكثرهم قريحة. ويبدو أن استمرار الحرب بين الأو س والخزرج سبب في إشعال هذه القريحة، لأن الشعر كان سلاحاً من أسلحة العرب في حروبهم ضد خصومهم، وقد جعل الذوق العربي العام من الشعر أناشيد للمقاتلين. وتأسيساً على هذا نما الذوق في مدينة يثرب فكان لها أحكام نقديّة ميزتها عن المدن الأخرى.

ونستطيع أن نقول أن هذه الأحكام النقدية كان فيها من الموضوعية مايشار إليه، فمع مكانة النابغة النقدية لم يمنع جمهور النقد من أن ينبهه على إقوائه، وهو نقد صادق ليس فيه من آثار الهوى الذاتي ويدل على ذلك أنهم تلطّفوا في إبلاغ النابغة عيبَهُ فدسّوا له الجارية تردد الصوت، وتطيل القافية حتى أدرك الإقواء الذي وقع فيه[2]. والإقواء هو اختلاف حركات القافية، أي هو تغيير في الإعراب، وقد

---

(1) البلاغة العربية، المعاني والبيان والبديع، الدكتور أحمد مطلوب،ص 15.

(2) ينظر: دراسات في نقد الأدب العربي لغاية القرن الثالث الهجري، د. بدوي طبانة، ص 66.



obeikandi.com

ذكر ابن سلاّم أنه "لم يقوِ أحدٌ من الطبقة الأوْلَى ولا من أشباههم إلاّ النابغة"[1] إلاّ أن ابا الفرج يروي عن أبي عمرو بن العلاء قوله" كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي خازم فأمّا النابغة فدخل يَثْرِبَ فهابوه أن يقولوا له لحنت واكفأت فدعوا قينة وأمروها ان تغني في شعره ففعلت. فلمّا سمع الغناء و (غير مزوّد) و (الغرابُ الأسودُ) وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يقو بعد، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سواده: أنت تقوي، فقال: وماذاك؟ قال: قولك:

**ألم ترَ أن طُول الدهر يُسلي ... وَيُنْسى مثلما نسيت جُذامُ**

ثم قلت:

**فكانوا قومنا، فبغوا علينا ... فَسُقْنَاهُم إلى البلد الشَّآمي**"[2]

وعلى الرغم من الإقواء الواضح في بيتي القصيدة، فقد وصفها أبو عمرو بن العلاء بقوله "ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها وهي التي ألحقت بشراً بالفحول"[3].

فهذه المآخذ تنسجم من دون شك مع شفاهية المعرفة والثقافة لدى العرب آنذاك، ومع كون الشعر فناً لغوياً، فعلينا ألاّ نسلب عن هذه الأمة حقها فيما تمتلكه من العقل والمنطق ودقّة التحليل، وحسن الانتباه مايؤهلها لأن تطلق حكماً نقديّاً أو أحكاماً متفاوتة، ونلمح في ذلك ردّاً على من أنكر على العرب ذلك.

ويبدو أن تلك القصيدة لم تكن الأولى التي أقوى فيها النابغة، فهذا أبو عمرو بن العلاء تطرق في حديثه إلى الإقواء وتعريفه وقال: "كقول النابغة الذي أكفأ في قوله في قصيدة مجرورة أولها وقال فيها:

---

(1) طبقات فحول الشعراء 55/1.

(2) الشعر والشعراء 27/1. وينظر: الموشح،ص 59 والبيتان في ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي،الدكتور صلاح الدين الهواري، ص 242.

(3) شرح المفضليات،ص 648. الحاشية نقلاً عن شرح المفضليات للمرزوقي.

قالت بنو عامر: خالوا بني أسد ... يا بؤس للجهل ضرّار لأقوامِ

وقال فيها:

تبدو كواكبهُ والشمس طالعةٌ ... لا النور نورٌ ولا الإظلام إظلامُ[□]

ويرى يونس بن حبيب أن "عيوب الشعر أربعة، الزحاف والسناد والإقواء والإكفاء وهو الإقواء"[بر] وبتأملنا شعر ماقبل الإسلام نجد مايؤكد ذلك، فهذا الشاعر جندل بن المثنى الطهوي يمدح قوافيه بقوله:

لم أقوِ فيهنَّ ولم أساندِ[تر]

وقال امرؤ القيس:

فالقوافي فيما يقول الشاعر تكثر عليه، وهو لذلك يذودها عن نفسه ذياداً وينظر إليها ألفاظاً وقوافي نظر الجواهري إلى لآلئه حيث يتخيّر المستجاد من الدر.

وبتأملنا تلك النصوص النقدية نجد أن الإقواء لم يكن محصوراً بالنابغة وبشربن أبي خازم كما ذهب أبو عمرو بن العلاء، ولا فيما أشاروا إليه من أبيات. إذ لم يسلم الشعراء الفحول من هذا العيب. فهذا امرؤ القيس وقد أكفأ في نونيته التي قال فيها:

أحنظل لو حاميتم وصبرتمُ ... لأثنيت خيراً صادقاً ولا رضانِ[4]

وقال أيضاً:

ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّةٌ ... وأو جههمُ بيض المسافرِ غرّانُ"[سم]

غير أن هناك من نزّه امرأ القيس من الإقواء، فسكّن القافية منهم الأخفش[6] والتبريزي[7]. مع علمنا ان البيتين قد وردا في قصيدتين مختلفتين من الديوان

---

(1) الشعر والشعراء 172/1 والبيتان في ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق الدكتور شكري فيصل،122.

(2) طبقات فحول الشعراء 68/1.

(3) البيان والتبيين 139/1.

(4) م. ن، ص 397.

(5) م. ن، ص 83.

(6) ينظر: القوافي، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق عزة حسن، 92.

(7) ينظر: الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، ص 4.



obeikandi.com

وكلتاهما مكسورة القافية، ولاشك في أن الإقواء قد لازم إحداهما ويبدو أنها التي قال فيها:

**ألاّ إن قوماً كنتُ أمس دونهمُ … هموا منعوا جاراتكم آل غدرانِ**

**ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّةٌ … وأوجههم عند المشاهد غرّانُ**

**هم أبلغوا الحيّ المضلل أهلهم … وساروا بهم بين العراق ونجرانِ**[1]

ومع هذا فإن شعر امرئ القيس لايخلو من عيوب القافية الأخرى منها الايطاء على وجه الخصوص، فقد كرر الشاعر القافية (عريرِ) عينها بعد بيت واحد فقط في قوله:

**بلاد عريضة وأرض أَريضةٌ … مدافع غيث في فضاءٍ عريرِ**

ثم قال:

**ومرقبة كالزُّج أشرقتْ فوقها … أُقَلِّبُ طَرْفي في فضاءٍ عرير**

ووردت قافية (قصيص) في بيتين متتابعين في قصيدة أخرى[بر].

وفي بائيته المشهورة كرر قافية (مرقب) مرتين، ولم يفصل بينهما سوى بيت واحد[تر].

ومن العيوب (الإجازة) وهي اختلاف الأرداف قبل القوافي المقيّدة فقد جاءت قوافي رائيته (أَفِرْ، صبُرْ، بشَرْ)[ير] فكسر الردف في الأولَى وضمّه في الثانية وفتحهُ في الثالثة.

أما السنّاد وهو الحرف الذي يكون قبل الروي المقيّد، فتحة مع ضمة أو كسرة وكذلك الفتحة مع الكسرة أوالضمة وبهذا تتعاقب حركات كثيرة

---

(1) ديوان امرئ القيس، ص 83.

(2) ينظر: م. ن، ص 73-74.

(3) ينظر: شرح القصائد التسع المشهورات لابن النحاس 666/2. والديوان 47.

(4) ينظر: ديوان امرئ القيس 154 و 16.

مختلفة فقد جاءت قوافي الشاعر هكذا (خَصِرْ، القُطُر، المستَحر، بُهُر، فَطِر، حُجُر...)[□].

وفي قصيدة أخرى جاءت القافية (آخرا، تعبّرا، قيصرا)[بر].

ويبدو أن هذه المآخذ لم تقلل مطلقاً من شاعرية امرئ القيس الذي وصفه أحد النقاد بأنه "مصنعٌ من مصانع اللغة لا رجل من رجالها"[تر].

وعلى الرغم من تلك المآخذ انتهى رأي النقاد القدامى إلى تقديم امرئ القيس على غيره من الشعراء، إذ " يعد أباً للشعر الجاهلي، بل للشعر العربي جميعه؛ فقد استوى عنده في صورة رائعة سواء من حيث سبقه إلى فنون أجاد فيها، أو من حيث قدرته على الوصف والتشبيه، وقد مضى يعنى بأخيلته ومعانيه وألفاظه مما نجده ماثلاً في استعاراته وبعض طباقاته وجناسه، وبذلك أعدّ للشعراء من بعده للعناية بحلًى معنويّة ولفظية مختلفة."[ير].وقد سبق الشعراء في موضوعاتٍ كثيرة، و"أعطاها النسق النهائي مظهراً في ذلك ضروباً من المهارة الفنية جعلت السابقين يجمعون على تقديمه، سواءٌ العرب في أحاديثهم عنه أو النقاد في نقدهم للشعر الجاهلي"[سم].

فإذا كأن هذا هو حال أمير الشعراء، الذي لاريب فيه فإن أهمية شعره تبدو في أنه متجدد عبر الأزمان، فإن الإقواء وغيره من عيوب القافية قد لازمت شعره، ويندر أن يفلتَ أي شاعر من هذه العيوب.

---

(1) م. ن، ص 157-158. للاستزادة عن الردف والسناد بأنواعه:(الردف،والتوجيه والاشباع والحذو) ينظر: القوافي للقاضي التنوخي، ص 1597 . 160.

(2) م. ن، ص 69.

(3) أمير الشعر في العصر القديم امرؤ القيس، محمد صالح سمك، ص 6.

(4) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) الدكتور شوقي ضيف، ص 265.

(5) م. ن، 260.



obeikandi.com

ومن شعراء المعلقات الذين لم يسلم شعرهم من الإقواء الحارث بن حلزة اليشكري، إذ قال في معلقته:

**زعموا أن كل من ضرب العير      موّال لنا وأنا الولاءُ**

فقال المعري: "لقد أتعبت الرواة في تفسير قولك (زعموا.."[1] "ويقول وما حسبتك أردت إلاّ العير الحمار"[2]. وفي قول الحارث:

**فملكنا بذلك الناس حتى      ملك المنذر بن ماء السماءِ**

فهذا البيت جاء مكسور الروي فيما يبين البيت الأول أن القصيدة مضمومة الروي، ويبدو أن هذا هو الذي دفع المعري إلى أن يقول: "... ولقد شنّعت هذه الكلمة بالإقواء في ذلك البيت ويجوز أن تكون لغتك أن تقف على آخر البيت ساكناً وإذا فعلت ذلك اشتبه المطلق بالمقيّد..."[3].

ولا شكَّ في أن الإقواء هذا قد أخلَّ بنسق القصيدة الموسيقي، وأفقدها قيمتها الفنية، وأخرجها عن الانسجام الواقع بين نهايات الأبيات.

### النقد الأدبي في قصور الحيرة والغساسنة واليمن:

كانت قصور الملوك والأمراء في عصر ماقبل الإسلام بيئة أخرى من بيئات نقد الشعر وتقويمه، وهي بيئة كان يشترك أصحابها من الممدوحين في الحكم على هذه القصيدة أو تلك. ولاريب في أن يحتل (المدح) الصدارة في موضوعات الشعر في بلاط الإمارتين العربيتين (المناذرة والغساسنة) وذلك لتشجيع ملوكها الشعر والشعراء وازدهار الحياة الأدبية في تلك الحقبة من الزمن، فقد تمتعت الإمارتانِ بانفتاح تام ولازدياد ثرائهما وسلطانهما اتجه الشعراء إلى هذين المنبعين في رحلات

---

(1) رسالة الغفران، أبو العلاء المعري، 153 والبيتان في ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، طلال حرب، ص38.

(2) م. ن، ص 153.

(3) رسالة الغفران، ص 153.



openkandi.com

مستمرّة ومنتظمة للارتواء منهما، ومن الشعراء من استقر فيهما استقراراً دائماً لملوكها ومغرّداً في رياضهما منهم النابغة وعدي بن زيد وأبو دؤاد الإيادي والأعشى وعلقمة بن عبدة وحسان بن ثابت. وكان البلاط في هاتين الإمارتين العربيتين يَعِجُّ بشعراء متفننين احتلوا منزلةً رفيعةً في قلوبِ الملوكِ، ومن حسنات هاتين البيئتين أنهما جمعتا شعراء من نواحي جزيرة العرب كلها.

وقد أورد أبو الفرج الاصفهاني خبرين لهما مكانتهما في النقد العربي ينسب الأول إلى جبلة بن الأيهم الغساني، وينسب الآخر إلى عمرو بن الحارث وكلاهما من ممدوحي حسان بن ثابت الأنصاري، وقد ذُكِرَ أن حسّاناً قال: "أتيت جبلة بن الأيهم الغساني وقد مدحته فأذن لي، فجلست بين يديه.. وعن ميمنته رجلٌ له ضفيرتان وعن يساره رجل لا أعرفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقلت: أمّا هذا فأعرفه وهو النابغة، وأما هذا فلا أعرفه، قال: هو علقمة بن عبدة، فإن شئت استنشدتهما وسمعت منهما، ثم إن شئت إن تنشد بعدهما، أنشدتَ، وإن شئت سكتَّ، قلت: فذاك، قال: فأنشده النابغة:

**كِليني لهمٍّ ياأميمةُ ناصبِ وليلِ أقاسيهِ بَطيءِ الكواكبِ**

قال: فذهب نصفي! ثم قال لعلقمة: أنشد فأنشد:

**طحا بك قلبٌ في الحسان طروبٌ بعيد شباب عصر حان مشيبُ**

فذهب نصفي الآخر، فقال لي: أنت أعلم الآن، إن شئت أنشدتَ وإن شئت أن تسكت سكتَ. فتشددت ثم قلت: لا بل، أنشدُ. قال: هات.

فأنشدته:

**للهِ دَرُّ عِصابَةٍ نادمتهمْ يُوماً بِجلّقَ في الزمان الأولِ**

**أولادُ جَفْنَةَ عند قبرِ أبيهمُ قَبْرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفضلِ**

**يسْقونَ من وَرَدَ البريضَ عليهمُ بَرَدَي يُصَفَّقُ بالرحيقِ السّلسلِ**

**يُغشَونَ حتى ماتهرّ كلابُهم لايَسْألونَ عن السّوادِ المُقبلِ**

**بيضُ الوُجُوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ من الطّرازِ الأولِ**



obeikandl.com

فقال لي: أدنه لعمري ماأنت بدونهما، ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيب واحد، وقال: هذا لك عندنا في كل عام"(1).

ونلمح من الرواية أن هذه تعدّ بداية شعرية لحسّان لما شَعَرَ من أعماقهِ بفحولة هذين الشاعرين وقدرتهما، فضلاً عن ذلك أنه لمّا أراد الورود على عمرو بن الحارث أشارت عليه بعض نساء الأمراء: عليك بمدارسة الشعر(2) وهذا يعني نصحاً بضرورة امتلاك ناصية الشعر من خلال الخبرة التي تعد درعاً واقياً وسيفاً يشهر على أعداء الممدوح.

أن هذا الأمر يقودنا إلى الخبر الآخر الذي نسبه الأصفهاني لحسان أنه قال: "قدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص علي الوصول إليه فقلت للحاجب بعد مرّة، إن أذنت لي عليه، وإلاّ هجوت اليمن كلها، ثم انقلبت عنكم، فأذن ليَ، فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة و(علقمة) فقال لي: يابن الفريعة قد عرفت عيصك(3) ونسبك في غسَّان فارجع فإني باعث إليك بصلة سنيّة، ولا أحتاج إلى الشعر، فاني أخاف عليك من هذين السّبعين: النابغة وعلقمة أن يفضحاك، وفضيحتُك فضيحتي، وأنت والله لاتحسن أن تقول:

**رِقاقُ النّعَالِ طيّبٌ حُجُزاتهمْ     يُحيَّون بالرّيحانِ يومَ السباسبِ(4)**

فأبيت وقلت لابد منه، فقال: ذلك إلى عميّك فقلت لهما: بحق الملك الاّ قدمتماني عليكما، فقالا: قد فعلنا. فقال عمرو بن الحارث: هات يابن الفريعة، فأنشدتُ:

**أسألتَ رَسْمَ الدّارِ أم لَمْ تسألِ     بينَ الجوابي فالبُضَيعِ فحَوْمَلِ**

فقال: فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل(5) عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت، وهو يقول: هذا وأبيك الشعر لا مايعللاني به منذ اليوم هذه والله البتّارة التي قد بترت

---

(1) الأغاني 15/153-154 والأبيات في ديوان النابغة، ص 54 وديوان علقمة، ص 33 وديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح وتحقيق سيد حنفي حسين، ص122-123.

(2) ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق شكري فيصل 4/ 126.

(3) العيص الأصل.

(4) وطيّب حجزاتهم اراد مديحهم بالعفّة، يوم السباسب عيد النصارى.

(5) يزحل: يتخلى عن مكانه.

المدائح، أحسنت ياابن الفريعة هات ياغلام ألف دينار مرجوحة[1]، ثم أقبل على النابغة فقال: قم يازياد فهات الثناء المسجوع فقام النابغة فقال:

ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك السماء غطاؤك والأرض وطاؤك ووالدتي فداؤك والعرب وِقاؤك والعجم حماؤك والحكماء جلساؤك والمَداره سُمّارك، والمقاول إخوانك، والعقل شِعارك والحلم دثارك والسكينة مهادُك والوقار غشاؤك والبر وسادك والصدق رداؤك واليُمن حِذاؤك والسخاء ظهارتك.. وأكرم الأحياء أحياؤك وأشرف الأجداد أجدادك وخير الآباء آباؤك.. وأفخرالشبان أبناؤك وأطهر الأمهات أمّهاتك.. فإنك من أشراف قحطان، وأنا من سراة عدنان. فرفع عمر رأسهُ إلى جارية كانت قائمة وقال: بمثل هذا فليُثْنَ على الملوك ومثل ابن الفريعة فليمدحهم! وأطلق له أسرى قومه"[2].

ولو عدنا إلى الخبر الأول الذي يحكي تفوق حسان على صاحبيه النابغة وعلقمة في بلاط المناذرة والغساسنة فإننا نرجح أن الصلة التي تربط حسان بهؤلاءِ الملوك كان لها الأثر الفاعل في شحذ قريحة حسان الذي كان ينزل في قصورهم يمدحهم ويفخر بهم ودليلنا في ذلك قوله:

فهم أصلي فمَن يفخر بهم ... يعرف الناس لفخر المفتخر

نحن أهل العزوالمجد معاً ... غير أنكاسٍ ولا ميل عسر

فسلوا عنا وعن أفعالنا ... كلّ قومٍ عندهم علمُ الخبر[3]

---

(1) الأغاني 15/155-156 والبيتان في ديوان النابغة، ص 63، وديوان حسان، ص 121.

(2) الأغاني 1/156.

(3) ديوان حسان بن ثابت، 193 . 194.يقال إن حسان تزوج امرأة من الأنصار من الأوس يقال لها :عمرة بنت صامت بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف، وكان كل واحد محباً لصاحبه. ويقال :إن الأوس أسروا خالد بن صامت الساعدي فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة، فعيرته بأخواله وفخرت عليه بالأوس، وكان حسان يحب أخواله ويغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك شدة،وندم بعد ذلك وقال فيها شعراً جميلاً. ينظر الأغاني 2 /178.



obeikandl.com

فحسان من دون شك استفاد من مدح قومه ونزوله إليهم ومعاشرتهم كل هذا سكب على خياله السلاسة والعذوبة ورقة النغم الذي أعطى لقصائد حسان الجاهلية فنية عالية.

أمّا الحكم النقدي وهو الذي أطلقه حسان بنفسه حينما كان يستمع لإنشاد الشاعرين فعن الأول قال: ذهب نصفي وعن الآخر قال: ذهب النصف الثاني أو النصف الآخر، فهذا الكلام ليس هيّناً، إذ إن ذلك يعدُّ نقداً وحكماً على القصيدتين بالجودة والبراعة والإبداع نجد أنهما قد بلغتا نضجاً فنيّاً راقياً يستشعر الشاعر سببيهما خشية من عدم بلوغه مابلغه الشاعران في قصيدتيهما، فضلاً عن ذلك نجد حَكَماً نقديّاً آخر وهو جبلة بن الأيهم الذي استحسن شعر حسان وفضّله وأجزل له العطاء بسبب ذلك. ومثل هذا في الخبر الآخر، إذ يكرم عمرو بن الحارث حساناً والنابغة. وعندنا أن تفضيل حسّان لم يكن لصلة النسب التي جمعته بالملوك. بل كانت العرب ذوّاقة جريئة تقول صوتها أكان مع الشاعر أم مع غيره من الشعراء، فضلاً عن أن تفضيل قصيدة قد يرجع إلى أسباب موضوعية أكثر منها ذاتية.

فالقصيدة التي أعجبت حساناً وهي قصيدة النابغة مشهود لها بقيمتهاالفنيّة والقيم الجمالية ولو كانت الأحكَام ذاتية. لقلل حسّان من أهميتها وجماليتها إلاّ أن بناءَها الفني منع عليه ذلك. أمّا قصيدة علقمة التي أنشدها فقد نالت استحسان قريش ونعتت بـ (سمط الدهر) ولولا جودة شعره وقوة بنائه، وتمكّنه من أدواتها لما ألحق بالسمط سمطاً آخر. ولما أقرّت له أم جندب بجودة الوصف. وهذه القصيدة (طحا بك قلب في الحسان طروب). وقصيدة النابغة دفعت حسّاناً إلى أن يقف موقفاً مخيّراً إما الانسحاب أو إنشاد ماهو أفضل، وهو العالم بدراية (جبلة وعمرو) بالشعر. إلاّ أنه أنشد ماأعجب صاحبيه وممدوحيه وزادهما طرباً ونشوة، وقداختيرت قصيدته نموذجاً لمدائح الشعراء. وعندي أن قصيدة حسّان بلغت نضجاً فنيّاً وذوقاً شعريّاً رفيعاً لاريب في أن تكون المفضّلة على غيرها من القصائد التي أنشدت، ولكن لايعني عدم بلوغ النابغة وعلقمة الحظوة التي بلغها حسان.

فالنابغة معروف بشعره وجوائزه التي يكرم بها على ذلك الشعر، وعلقمة قالت العرب في قصيدتين من شعره هاتان سمطا الدهر. وفي الوقت نفسه فإن علقمة قصد الحارث الغساني لا للتكسب بالمال بل آملاً منه أن يطلق أخاه شأس بن عبدة وتسعين رجلاً من قبيلة تميم، كان قد أسرهم الحارث (في يوم باغ)، فبعد سماع القصيدة أطلق الحارث شأساً وأسرى بني تميم جميعهم(1) وتعد هذه جائزة مهمة حققها الشاعر علقمة بعد أن حقق مرامه.

وفي رأيي أن تقدير عمرو بن الحارث ونباهته قد حفظت للنابغة مكانته، فطلب منه النثر وقد أجاد الطالب وأجاد المجيب.

و هناك حوار نقدي مهم جرى في مجلس النعمان بن المنذر بينه وبين الربيع بن زياد من جهة وبين بني عامر وشاعرهم لبيد من جهة أخرى، فقد روي أن الربيع بن زياد كانت له مكانة عالية لدى الملك النعمان بن المنذر وتروي بعض المصادر أنه كان سبّابا، لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان فرمِيَ بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه، وقد وضع الطعام بين يدي النعمان، وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته، وكان قد أفسد على قبيلة لبيد(بنو عامر)النعمان لما يذكره من معايبهم، فقام لبيد وقال مرتجلاً:

| | |
|---|---|
| رب هيجاء هي خير من دعه | آكُلَّ يوم هامتي متفزَّعة |
| نحن بني أمَّ البنين الأربعه | ونحن خير عامر بن صعصعه |
| المطعمون الجفنة المدعدعه | والضاربون الهام تحت الخيضعه |
| يخبر عن هذا خبيرٌ فاسمعه | مهلاًأبيت العن لا تأكل معه |

فقال النعمان: ولمه؟ فقال لبيد: إن استه من بَرَصٍ مُلَمَّعَه

فقال النعمان وماعلينا من ذلك؟ فقال: وإنه يدخل فيهاأصبعه

| | |
|---|---|
| حتى يواري أشجعه | كإنما يطلب شيئاً أودعه |

(1) ينظر: العمدة 57/1.

ويروي "أطعمه" فرفع النعمان يده عن الطعام، وألتفت إلى الربيع شزراً، وقال: ما تقول ياربيع؟.

فقال: أبيت اللعن كذب والله ابن الحمق اللئيم، كذب الغلام، فقال لبيد: آمره فليجب، فقال النعمان: أجبه ياربيع، فقال: والله لما تسومني أنت من الخسف أشدُّ عليَّ مما عضهني به الغلام، فحجبه بعد ذلك، وسقطت منزلته و أمر النعمان بعد هجاء لبيد له في مجلسه، بإخراجه وانصرافه إلى أهله ؛فكتب إليه الربيع معتذراً :إني قد تخوفت أن يكون قد وقر في صدرك ما قال لبيد، ولستُ برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال فأرسل إليه :إنك لست صانعاً بإنتفائك مما قال لبيد شيئاً ولا قادراً على ما زلّت به الألسن، فالحق بأهلك، فقال الربيع:

**لئن رحلت جمالي إنّ لي سعةً ... ما مثلها سعةٌ عرضاً ولا طولا**

فكتب إليه النعمان:

**شرِّدْ برحلك عني حيثُ شئتَ ولا ... تُكثر عليَّ، ودع عنك الأقاويلا**

**فقد ذكرت به،والركب حامله ... ورداً يعلل أهل الشام والنيلا**

**قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من شيءٍ إذا قيلا**

**فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرض واسعة ... وانشر بها الطرف إن عرضاً وإن طولا**[1]

فوقعت القطيعة ولم تنفع الربيع محاولاته في رأب الصدع وإعادة الحال إلى سابق عهدها لأن الملك النعمان تأثر بشعر لبيد وعلى الرغم من أنّ لبيداً كان آنذاك غلاماً صغيراً يدين بالفضل للربيع لأنه ربَّى أمه، فالربيع بمنزلة خاله، ولم يلتفت الملك إلى صدق الشعر أو كذبه، و يتجلى ذلك في قول النعمان نفسه :

**قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً ... فما اعتذارك من شيءٍ إذا قيلا**

---

(1) ينظر: الأغاني 142/17- 366، أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم 190/1-192،والعمدة 1/ 51، 52.

ويبدو أن الربيع غير ما وصفه لبيد بدليل أنه "كان يلقب بالكامل لاكتمال صفات الرجل والفارس من شجاعة وفصاحة وحزم وكرم إلى جانب السيادة وشرف المحتد من أبيه وأمه "[1].

**النقد في مجلس قيس بن معد يكرب الكندي:**

ويعد مجلس قيس بن معد يكرب من أهم المجالس الأدبية في اليمن وأشهرها في العصر الجاهلي، وكان قيس فارساً، وشجاعاً وكريماً، فضلاً عن صفاتٍ أخرى ذكرها الأعشى في قوله عندما مدحه منشداً:

**وغريبةٍ تأتي الملوكَ حَكيمةً ... قد قلتها ليقال من ذاقالها**

**الواهبُ المائةَ الهجانَ وعبدها ... عوذاً تُزجِّي خلفهاأطفالها**

**وإذا تجيء كتيبةٌ مَلْمُومَةٌ ... خرساءُ تُغشى من يذودُ نهالها**

**تأوي طوائفها إلى مخضرَّةٍ ... مكروهة يخشى الكماة نزالها**

**كنت المُقَدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ ... بالسيف تضربُ معلماً أبطالها**

**وعلمتَ أن النفس تلقى حتفها ... ماكان خالقها المليك قضى لها**[2]

ومدحه في قصيدة أخرى وقال:

**أزال أذينة عن ملكهِ ... وأخرج من حصنه ذا يزن**

**أ فادَ الملوكَ فأفناهمُ ... وأخرجَ من بيته ذا حزن**

**وفي كل عامٍ له غزوةٌ ... تحتُّ الدوابرَ حتَّ السفنْ**

**نُبِّئت قيساً ولم آتهِ ... كما زعموا خيرَ أهل اليمن**

---

(1) شعر ربيع بن زياد، الدكتور عادل جاسم البياتي، مجلة كلية الآداب جامعة المستنصرية لعدد الرابع عشر، ص 387.

(2) ديوان الأعشى الكبير(ميمون بن قيس)،شرح وتحقيق الدكتور محمد محمد حسين، ص 199 . 201.

obeikandl.com

**رفيــعَ الوســادِ طـويــلَ النجــا دِ ضخْمَ الدسيعة رحـبَ العطــن**[1]

وقد ذكرنا أن للممدوح رأياً في الشعر، فكان يستحسن موضعاً ويرفض آخر من ذلك ماعابه قيس بن معد يكرب على الأعشى في البيت الرابع فأنكر عليه قيس ماجاء في شطره الثاني (وقد زعموا) فجعل بدلاً منها "على نأيهِ" فكان البيت:

**نُبِّئــــت قيســـاً ولم آتـــهِ علـى نأيـهِ سـاد أهـل اليمــن**[2]

فالعربي كما يبدو أعلم الناس بلغته وأقدرهم على تفهّم أسرارها وأساليب التعبير بها، فقد استطاع قيس بن معد يكرب أن يتنبه إلى خطأ الأعشى حين ذهب إلى أن سيادة قيس على أهل اليمن زعماً لا حقيقة و" زعموا" كما يقولون: مطية الكذب، وذلك لأن الدقة في فهم الألفاظ وفي استعمالها كان يتحراها كل عربي، فضلاً عن الشعراء وذوقهم المتميز وإبداعاتهم ومواهبهم،فقد كانت معرفتهم بالنقد كبيرة وكانت لمجالسهم مكانة مرموقة، فما من ناقدٍ كان إلا وقد ارتبطت قريحته بالشعر وحفظ ماحفظ منه في لوح الحافظة، وروى منه ما استطاع روايته، واطلع على كثير من عادات العرب ومعارفها. ولم يكن الأمر في النقد أو الرأي النقدي مقتصراً على النابهين صغيراً وكبيراً، ولاعجب فالعرب أمّة الشعر منها الشعر وإليها يعود وإلا كيف استطاع طرفة بن العبد وهو غلام أن يتنبه لأخطاء المسيب وقد عابه بأنه جعل للجمل شيئاً من سمات الناقة.

---

(1) ديوان الأعشى الكبير، ص 65 ـ 75.

(2) ينظر: الموشح، ص 73، والبيت في ديوان الأعشى الكبير، ص 25.

## المبحث الثالث

### النقد الأدبي في سوق عكاظ

حفل عصر ماقبل الإسلام بالأسواق الأدبية (1) حيث تلتقي جماهير الشعر في ملتقى حافل وعطاءٍ متدفّقٍ، يلتفّون حول فحول الشعراء والخطباء والبلغاء مصغين إليهم بشغف ولهفة، وفضلاً عن ذلك يسألون في هذه الأسواق ومجالسها عن أمور هي في صميم النقد العربي ولكنها تتصف بالعجالة والاعتماد على ذوقهم الفطري في إبداء رؤية أفكارهم وإظهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم، مع العلم أن فطرة العربي نشأت على النزعات العصبية والقبلية، وهذا ما يجعلنا نلمسه في جوانب كثيرة من نقده، فضلاً عن أن طبيعة النقد آنذاك كانت انطباعية متأثرة بطبيعة الأسواق نفسها. فعلى المتلقي الناقد أن يصدر حكمه على العمل الأدبي فور الاستماع إليه، وبهذا كانت هذه العجلة الانطباعية والذاتية تؤثر في طبيعة الحكم النقدي. إلاّ أن ذلك لايعني؟ أن الناقد الجاهلي محدود الخبرة، لأننا رأينا أحكاماً تمتاز بسعة اطلاعه وكثرة حفظه ومعرفته بأنساب العرب وأخبارهم وما يترتب عنها من معانٍ ودلالات، وقد ارتأى الشعراء لأنفسهم حكّاماً من ذوي الخبرة والممارسة الطويلة في نقد الشعر وإنشاده والاستماع إليه والا لما التجأت إليه الشعراء تحكمه في أشعارها. فضلاً عن أمر آخر كان يتمتع به ناقد عصر ماقبل الإسلام وهو شاعريته وموهبته الشعرية الفذّة التي جعلته في مصاف كبار الشعراء الذين عرفوا ميادينه وخاضوا أغراضه وجابوا فنونه وخبروا عن محاسنه ومساوئه، وتأملوا في معانيه وألفاظه، فهم يرجعون في حكمهم النقدي إلى ذلك كله " فإذا جاء نقدهم موجزاً فهو إيجاز التكثيف والاكتناز وهو من قبيل الإجمالي الذي لو فصّل لظهر ماقد يكون وراءه من رأي سديد"(2). ومن أولئك الذين عرفوا بذلك، وذاع صيتهم في الشعر والنقد النابغة الذبياني، إذ ذكر صاحب الموشح أنها كانت "تضرب له قبّة

---

(1) الأسواق الأدبية في الجاهلية ذكر منها اليعقوبي عشراً وكان في ناحية مكّة منها ثلاث: (عكاظ) و (ذو المجاز) و(مجَنة) وأشهرها على الإطلاق سوق عكاظ. ينظر: تاريخ اليعقوبي،محمد صادق بحر العلوم، 1/313-314.

(2) بيئات نقد الشعر عند العرب، ص 42.



obeikandi.com

حمراء من آدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها قال: فأول من أنشده الأعشى ميمون بن قيس (أبو بصير) قصيدته التي مطلعها:

**مَــا بكــاءُ الكَــبِيرِ بالأَطــْـلاَل          وَســـؤَالي ومـــاتَرُدَّ ســـُؤالي**

ثم أنشده حسّان بن ثابت الأنصاري قصيدته التي يقول فيها:

**لنـا الجفنـاتُ الغُـرُّ يَلْمعْـنَ بالضُّحَى          وأَسـيافُنا يَقْطُـرْنَ مـن نَجْـدةٍ دمَـا**

**وَلَـدْنَا بـني العَنْقـاء وابنَـي محـرّقٍ          فأَكرِمْ بِنـا خَـالاً وأَكرم بِنـا ابْنَمـا**

فقال النابغة: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك"[1]، وقد ذكر أن الشاعرة الخنساء كانت قد أنشدت في هذا المجلس قصيدتها التي ترثي بها أخاها صخراً:

**قـذىً بعينيـك أم بـالعين عُـوّارُ.........**

حتى وصلت إلى قولها:

**وإن صـــخراً لتـــأتمُّ الهـــداةُ بـــهِ          كأنـــهُ علـــمٌ في رأســـه نـــارُ**[2]

فقال النابغة " والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجنّ والإنس.

فقال: حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك[3].

ويبدو أن النابغة تقبّل اعتراض حسان على الحكم بعصبية الشاب المغرور وأجابه النابغة برؤية الشيخ الناقد، وحكمته فقبض على يديه برفق وقال: ياابن أخي لاتحسن أن تقول مثل قولي:

**فإنـك كالليـل الـذي هـو مـدركي          وإن خلـتَ أن المنتـأى عنـك واسِـعُ**[4]

---

(1) الموشح، ص 82 والبيت الأول في ديوان الأعشى، ص 3،والبيتان الآخران في ديوان حسان، ص131.

(2) الشعر والشعراء 344/1. والقصيدة في ديوان الخنساء، بشرح ثعلب،تحقيق الدكتور أنور أبي سويلم، ص 378 – 392.

(3) الشعر والشعراء 344/1 للاستزادة ينظر: الأغاني 8/11 . 9.

(4) ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق الدكتور شكري فيصل، ص 78.



opelkandi.com

فقد جاء النابغة بهذا البيت وهو يعلم أن حساناً يطاطئ له ؛ لأنه ابتكار لم يسبق إليه فيه صورة الليل الذي يمتد ليدرك الموجودات كلها، وصورة القدرة والذراع الطويلة التي يحتاجها الانسان. ولكي يسوغ حكمه في تفضيل الخنساء قال: النابغة: أنشديه، فأنشدته" فقال: والله مارأيت (ذات مثانة) أشعر منك فقالت له الخنساء: ولا ذا خصيتين"(1) فهي تعد نفسها من هذا الحكم (أشعر العرب).

وقد قيل إن الخنساء هي التي قامت بنقد شعر حسّان بقولها " قلت لنا الجفنات والجفنات مادون العشر فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت الغر، والغر جمع غرّة والغرَّة البياض في الجبهة ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعاً. وقلت يلمعن واللمع شيء يأتي بعد الشيء (أي يظهر ويختفي) ولو قلت يشرقن لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان، و قلت بالضحى ولو قلت بالعشيّة لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً، وقلت أسيافنا، والأسياف دون العشرة ولو قلت سيوفنا لكان أكثر، وقلت يقطرن فدلّت على قلّة القتال ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم وقلت دماً والدماء أكثر من الدم وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك"(2).

وفي رواية أن النابغة قال: لحسان: يا ابن أخي على رسْلِك، فقد اخطأت في هذا البيت(لناالجفنات الغر...)في ستة مواضع:قال: فماهن ياعم؟ فذكر له تلك المواضع المذكورة آنفا" (3).

والحق أن هذا الرأي النقدي قد امتلك كثافة تفسيرية لبيت شعري واحد وهو أمرغير معهود في تاريخ ماقبل الإسلام غير أننا لانستطيع أن نرفضه، أو نقول بعدم صحته، فربما ضاعت نصوص تحمل بين ثناياها رواية كهذه "كان من الممكن أن تفيدنا في فهم أسلوب الجاهليين في النقد ومفرداتهم التي كانوا يستعملونها وسيلة

---

(1) الشعر والشعراء 1 / 344، وينظر: الأغاني 11 / 8.

(2) الأغاني (ط.دار الكتب) 34/9، وجمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، تحقيق خليل شرف الدين 1/ 109.1 /1.6 والموشح، ص 82، 84 للاستزادة ينظر: دراسات في النقد الأدبي، رشيد العبيدي، ص 62 ومفاهيم في الأدب والنقد، الدكتور حكمة الألوسي، ص 36-37.

(3)جمهرة أشعار العرب 1.6/1.



obeikandl.com

للتعبير عن المضامين النقدية التي تجول في خواطرهم"[1] ونقل مافيها من أحاسيس ومشاعر، واضعاً العاطفة بالحسبان، أعني بها تصوير العواطف في صورة شعرية.

ولا ريب في أن يعطي الرمز والخيال شيئاً من الأهمية، وإن كنّا نلمس مبالغة في الحجج التي نسبت إلى الخنساء التي لم يعرف لها رأي نقدي غير هذا، فضلاً عن كونها شاعرة خجولاً ذاع صيتها بأحزانها في رثاء أخيها صخر، إلاّ أننا لانشك في وجود تعليل نقدي كهذا في عصر ماقبل الإسلام وفي الوقت نفسه لانستطيع أن ننكرعلى الخنساء تذوقها للفن الشعري، وفهمه وتحليله والحكم عليه، وإلاّ لما دارت تلك المحاورة الأدبية لترد على حسّان بن ثابت وتفنِّد ذكر الحجج، وإذا كانت هي الناقدة فعلاً فإننا هنا نضع الخنساء ناقدة بارعة تسطّر صفحة في كتاب النقد الأدبي والتذوق الفني على البداهة والارتجال في هذا الوقت المشحون بالمنافسة.

ويبدو أن هذا الحكم كان متطابقاً مع حكم النابغة الذبياني، وهذا وحده يثير الشك لدى أي دارس، وإن كان كذلك فإن مثل هذا الحكم لايمكن أن يسلب عن ناقد عصر ما قبل الإسلام ذوقه، وربما أن الخنساء استمعت إلى حكم النابغة بحق حسّان ووسعته بعد أن جاءت بتلك الحجج.

أمّا أحكام النابغة فلا مجال للطعن فيها، لأنهُ ناقد الشعراء المعروف، ويزيد الأمر تأكيداً أن حساناً يعدّ المنافس الأول للنابغة في بلاط الملوك، إذ نال رضا ملوك الغساسنة والمناذرة، أكثر من مرّة وكرّم بجوائزهم وعطاياهم، ومما يذكر أن الحارث الأعرج الغساني فضّل حساناً على كل من النابغة وعلقمة في مجلسه حيث كانوا يتناشدون الشعر ويتبارون ويتسابقون طمعاً في العطايا. فكان أن أثنى على لامية حسان ودعاها (البتّارة) التي بترت المدائح، فإذاً هي نالت هذا اللقب لأن فيه منحى نقدياً مهماً ويكفي على إثره أن يكونَ هذا دافعاً لتفضيل النابغة الأعشى والخنساءَ على حسان غير أن هذا لا يلغي تقنية النابغة النقدية وخبرته وذوقه ومدارسته فقد كانت له وقفات نقدية اقتنصها من شعر حسّان.

---

(1) مقالات في تاريخ النقد العربي، الدكتور داود سلّوم، ص 34.



opelkanaf.com

وقد كان هذا الحكم مدعاة لآراء نقدية ووقفات بين النقاد الذين كان منهم من وقفَ رافضاً قول النابغة، وكان منهم من تعصّبَ له، ولكل فريق نظرته الفاحصة وتعليله للقبول أو الرفض، فكان أمامهم نصّان أحدهما الشعر والآخرالنقد، وكان عليهم الحكم، فهذا الصولي يقول: "فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدلّ عليه نفاذ كلام النابغة، وديباجة شعره، قال لحسان: أقللت أسيافك لأنه قال: (أسيافنا) وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف، والجفنات لأدنى العدد، والكثير جفان، وقال: فخرت بمن ولدت، لأنه قال: ولدنا بني العنقاء وابني محرّقٍ فترك الفخر بآبائه وفخر بمن ولد نساؤه"[1].

وهذا ما بينه الصولي في نسبة الحكم إلى النابغة لا إلى الخنساء. ويقف إلى جانبه المرزباني مؤيداً ذلك مع التماسه العذر لحسان في وصفهِ رادّاً إيّاه في فخره إذ فخر بولده وهذا مرفوض عند العرب التي تفخر بأنسابها.

ويبدو أن أسامة بن منقذ كان من أوائل المتعصبين للنابغة، وقد اتبع موقفاً لايبتعد عن موقف الصولي، ويبدو ذلك من اتهام أسامة لحسان بالتفريط في استعمال مفرداته، إذ يقول "إنّه فرّط في قوله الجفنات لانها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول: لدينا الجفان لأن العدد الأقل لايفتخر به وكذلك قوله وأسيافنا لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول بيض لنا، وفرّط في قوله الغر، لأن السواد أمدح من البياض لكثرة الدهن والقرِي فيها، وفرّط في قوله يلمعن بالضحى وهو قادر أن يقول بالدجى، لأن كل شيء يلمع في الضحى، وفرط في قوله يقطرن، وهو قادر أن يقول يجرين لأن القطر ينزل قطرة بعد أخرى"[2].

ومن النقّاد الذين انتصروا لحسان وقللوا من وقع نقد النابغة عليه قدامة بن جعفر الذي قال: رأيت قوماً "يستحسنون مايرون من طعن النابغة على حسان ﷺ" في قوله: لنا الجفنات... "أنهم يرون موضع الطعن على حسان في هذا القول "[3]...

---

(1) الموشح، ص 83.

(2) البد يع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ص 146.

(3) نقد الشعر، ص 92.

ويسردالحكاية بتفاصيلها ثم يذكر:"إن النابغة أراد من حسان الإفراط، والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ماهو فوقه وزايد عليه، على أنَّ من أنعم النظر يرى أن هذا الرد على حسان سواءٌ كان من النابغة أومن غيره فإنه غير موفق وإن حسّاناً كان مصيباً، إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده،وكان الرّد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره[1] ورأى "أن حسّاناً لم يرد بقوله (الغر) أن يجعل الجفان بيضاً، فإذا قصر عن تصيير جمعها بيضاً نقض ماأراده، لكنه أراد بقوله (الغر) المشهورات كما يقول (يوم أغر) ويد غرَّاء وليس يراد البياض في شيء بل أراد الشهرة والنباهة"[2] أمّا قوله "يلمعن بالضحى" فلو قال: بالدجى لكان أفضل لأن كل شيء يلمع بالضحى فهذا خلاف الحق وعكس الواجب،لأنه لايلمع بالنهار الاّ الساطع والنورالشديد الضياء، ويلمع بالليل للحالة أدنى نور فالمصابيح ينقص نورها كلّما أضحى النهار. أمّا قوله في السيوف يجرين خير من قوله يقطرن ؛ لأن الجري أكثر من القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب ماأعتاده الناس من وصف الشجاع الباسل بقولهم: سيفه يقطر دماً ولم يسمع يجري دماً ولعلّه لو قال: يجرين دماً يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى مالم تجرِ عادة العرب بوصفه"[3].

والحق أنني أرى مايراه قدامة بن جعفر وأزيد عليه أن الشاعر لم يرد أن يصف نفسه في المغيرين دون هدف، فهم ليسوا بقطّاع طرق سمتهم القتل والبطش بل إنه من قوم يهبون لنجدة المنتخي إياهم، فإذا ماحزم الأمر ترى سيوفهم تقطر دماً تقتل من اعتدى من دون وجه حق. لقد جاء قدامة بهذا النقد المنصف بعد أن فتح للغلو باباً في كتابه (نقد الشعر) قال: "إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعروالشعراء قديماً، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه"[4].

---

(1) ينظر: م. ن، ص 93.

(2) نقد الشعر، ص93

(3) م. ن، ص 94.

(4) نقد الشعر، ص94.

ويبدو أن ابن أبي الإصبع المصري قد أيد فكرة المبالغة وتعصب لحسان بقوله "خير الكلام مابولغ فيه ويحتجون بما جرى للنابغة مع حسّان في استدراك النابغة عليه تلك المواضع في قوله:

(لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى) فإن النابغة عاب على حسّان ترك المبالغة. والقصة مشهورة والصوّاب مع حسّان، وإن روي عنه انقطاعه في يد النابغة، وقوم يرون المبالغة من عيوب الكلام ولايرون محاسنه إلاّ ماخرج مخرج الصدق، ويزعمون أن المبالغة من ضعف المتكلم وعجزه أن يخترع معنى"[1].

وهناك فريق قلل من قيمة تلك الرواية وشكك بها، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري، ومن أولئك ابن رشيق القيرواني الذي كان أول من اعترض، وعدّ هذه الرواية مجانبة الصّواب فقال: " قد يذكر القارئ مايروى من أمر جلوس النابغة في عكاظ في خيمته الحمراء يقضي بين شعراء كالأعشى والخنساء وحسّان الذين راحوا ينشدون أحسن ماعندهم من الشعر بين يديه على مافي الرواية من وهن يبعدها عن دائرة التصديق"[2].

إننا نلمح مايؤكد التشكيك في الرواية بأكملها، ولعل التعليل الذي صاحب الرواية هو الذي قادإلى ذلك الشك. وإن كنا لا نغالي إذا ما وقفنا إلى جانب صحة الرواية، إذ إن خبرة النابغة في هذا الميدان، وغضب حسّان بسبب الحكم، قاد النابغة إلى التعليل والتفصيل في هذا التعليل، وهذا يعطينا دليلاً على ماذكرنا من ضياع نصوص ربما كانت أكثر إتقاناً ودقّة من تعليل النابغة لحكمه النقدي، فالناقد لم يكن يصدر حكماً عامّاً فقط، وإن كان الناقد غير مطالب دائماً في تعليل حكمه. ويرى السيد قطب "أن الناقد غير مطالب بالتعليل فحسبه أن يتذوق ويتأثر فيحكم، والذي ورد في تفصيله لايتفق عنده مع طبيعة النقد حينذاك"[3].

---

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ابن أبي الإصبع المصري 1/ 148.

(2) العمدة 76/1.

(3) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيد قطب، 113.



obeikandi.com

ويبدو أن هذا التشكيك قاد بعض العلماء إلى رفض ماورد في هذه الروا ية، ومن هؤلاء المظفر بن الفضل العلوي الذي قال: " قيل في رواية غير موثوق بها أنه قال النابغة لحسان: "وقلت: لنا الجفنات الغر، والغرّة لمعة بياض الجفنة ولو قلت الجفنات البيض لكان أحسن لكثرة الدّسَم عليها ويقول: ولو قلت يلمعن بالدجى لكان أبلغ، ولو قلت: وأسيافنا يجرين لكان أبلغ من (يقطرن) لأن الجري أعظم من القطر. وأقول إن هذه الزيادة عليها اعتراض والصحيح ماقاله النابغة"[1] أمّا فيما يتعلق بقول النابغة "فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك"[2] فإنه في نظر العلوي (النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة)[3].

ويبدو أن شكّه نابع من قدرة العربي على الوصول إلى العقلية النقدية آنذاك بحيث تستطيع أن تصدر حكماً وتعلل هذا الحكم. ويبدو أننا مازلنا نعاني من هذه المشكلة وهي الوثوق بالعقلية العربية، إذ لم نجد كتاباً نقدياً واحداً تناول النقد العربي القديم إلا وأشار إلى آراء متباينة في صحتها وهذا ماجعل الأمر سجالاً بين النقاد. وأول من رفع اللواء فيه المرحوم طه أحمد إبراهيم الذي أنكر أن يكون لإنسان ماقبل الإسلام تلك العقلية الفكرية[4] لأن شعر ماقبل الإسلام إحساسٌ محض والنقد كذلك فكلاهما قائم على الانفعال والتأثر، فما كان النقد أكثر من مآخذ يفطن إليه الشعراء في الشعر وماكان له من أصل إلاسليقتهم وليس لديهم مقاييس يؤنس بها في المفاضلة بين الشعراء غير طبعهم وذوقهم. ورأى: "أن هذه الرواية تأباها طبيعة الأشياء لأن الجاهليين لم يكونوا يعرفون جمع التصحيح وجمع التكسير، وجموع القلّة وجموع الكثرة كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ومثل هذا النقد لايصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرف الفروق البعيدة بين

---

(1) نضرة الآغريض في نصرة القريض، ص 229.

(2) م. ن، ص 229.

(3) م. ن، ص 229.

(4) لايعني أن الأُستَاذ طه أحمد إبراهيم في شكه في صحة هذه الرواية قد اعتمد أو اتبع آراء المستشرقين واراء الدكتور طه حسين والذي تأثر باستاذه مرجليوت الذي انكر شعر ماقبل الإسلام جملة وتفصيلاً وسنفصل الحديث عن ذلك عند تناولنا قضية الانتحال.

دلالة الألفاظ وألمّ بشيء من المنطق"[1] ولم يقف عند هذا فحسب بل ذهب إلى أبعد من ذلك ويقول: "إن روح النقد هذه لو وجدت في الجاهلية لظهر أثرها في عصر البعثة النبوية حين تحدّى القرآن العرب بأن يتصدوا لنقده بالروح نفسها على حين لم نعثر على مثل هذا الأسلوب في العصر الإسلامي لا بين الأدباء ولا بين النحويين واللغويين"[2].

ولعل في هذه المقولة منحى خطير وخلط عجيب لأنه يرى في مضمون كلامه من أن النقد هذا إذا كان واجه ردّاً بالروح نفسها لدفع بالنقاد في صدر الإسلام لتحدي القرآن والتصدي له، ولكن مثل هذا لم يحصل ولم يعثر عليه ولكن هذه المقارنة في هذا السياق غير مقبولة ولاداعي لذكرها ولانقبل بها أبداً.

ويرى الأُستَاذ طه إبراهيم أن "من الجائز أن يغضب حسان من ذلك الحكم، وإنْ يظن أن النابغة جامل الخنساء، وآثر شعراء البادية على شعراء المدن أو شاعرة من مضر على شاعر من اليمن، أو وضع من شاعر كان يسابقه إلى المناذرة وآل غسّان، من الجائز أن يكون شيء من ذلك"[3].

ويبدو أن رفضه هذه الرواية لا لأنها لاتتلاءم وروح العصر فحسب بل لأنه يرى أن "رجلاً من الأنصار افتخر على الفرزدق بهذه الأبيات وغيرها من قصيدة حسّان، وتحدّى بها شاعر مضر كما وصف الفرزدق، ووردت هذه القصّة في الجزء الثاني من نقائض جرير والفرزدق وليس فيها إشارة إلى شيء من ذكر النابغة أو النقد الذي قيل في عكاظ"[4] ويرى في الوقت نفسه، أن نحاة القرن الرابع لم يطمئنوا إلى ذلك ومنهم ابن جنّي الذي رأى أن "هذه الزيادات لاتثبت للروح العلمية، ولا التاريخ وبعيد

---

(1) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 24.

(2) م. ن، ص 24.

(3) م. ن، ص 24.

(4) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 25، للاستزادة ينظر: النقائض، 5/2.

obeikandl.com

كل البعد أن توجد ملكة الفكر في النقد الجاهلي وأن توجد على هذا النحو الدقيق الذي يحلل ويوازن ويفرِّق بين الصيغ تفريقاً علمياً".[1]

لقد بالغ الأُستَاذ طه ابراهيم –فيما يبدو- في الذي أجده طعناً قد جانب الصوّاب، فبغض النظر عن كون هذه الرواية صحيحة أوغير صحيحة إلاّ أنه من غير المعقول أن يكون هذا العربي الذي نزل عليه القرآن الكريم والمعجز البليغ وتُحدي به.. لايفرق بين جموع التكسير كثيرها من قليلها، لقد فنّد الدكتور طه الحاجري حجج الأُستَاذ طه إبراهيم ذاكراً "أن العرب كانوا يفرقون بطبيعة حسّهم اللغوي بين صيغة الجمع الدّالة على القلّة والصيغة الدّالة على الكثرة" وليس هذا مايحتمل الإنكار بل هو الأمر الطبيعي، وهو الأمر الذي بنى عليه علماء النحو كلامهم عن جمع القلّة، والكثرة فمن أين لهم هذه التفرقة بين صيغ الجمع من هذه الناحية إلاّ أن يكونوا صدروا بها عن الاستعمال العربي الذي يفرّق بين الصيغة، وتلك دون أن يكون صادرا عن ذهن كذهن الخليل وسيبويه"[2]. وكان ورود مثل هذا الشك " بدعوى أن الجاهلي لم يكن يعرف جموع القلة وجموع الكثرة، ولكن كلمة النابغة لحسان بن ثابت لايفهم منها أن قائلها لا بد أن يكون على علم بمصطلحات الجموع المختلفة، وإنما يفهم منها أن عرب الجاهلية كانوا بطبيعتهم وحسهم اللغوي يفرقون بين الكلمات الدالة على القلة والدالة على الكثرة لأنهم كانوا ينطقون لغتهم سليقة ولهذا فهم أدرى بمعاني مفرداتها والفروق الدقيقة التي بينها "[3] وهذا الرأي هو الوجيه ويكفي أن يكون رداً على هؤلاء المشككين في قدرة أجدادهم العرب صناع الشعر وأرباب الفصاحة وأساطين اللغة وغيرها من التعابير الفنية والتقنية الإبداعية التي أعجزت الكثير من أحفاد الأحفاد في عصرهم هذا من الوصول إلى ماوصل إليه أجدادهم وهذه هي المأساة الفنية بعينها.

---

(1) م. ن.

(2) في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، ص 43.

(3) في النقد الأدبي، الدكتور مبارك حسن خليفة، ص 16.

أما بلاغة العرب في ذلك العصر فلا شك في أنها قد بلغت قمّة من النضج بدليل الإعجاز القرآني، وقد شاء الله أن تكون معجزة كل نبي من جنس مايبرع فيه قومه لكي تؤثر في نفوسهم، وتستولي على عقولهم، فيسرعون بالتصديق ويبادرون إلى الايمان وهو مايسعى إليه كل نبي مرسل.." فكانت معجزة موسى (عليه السلام) من جنس السحر الذي برع فيه قومه فحمل إليهم عصاه التي انقلبت حية تسعى وضرب بها البحرفانفلق عن طريق يبسا، وأعاد الضربة إلى الحجرفانفجرمنه الماء. وكانت معجزة عيسى (عليه السلام) في الطب الذي برع فيه قومه فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وحين بُعث محمد ﷺ في أمّة عرفت بالفصاحة وتقديس الكلمة، وكان أبناؤها يتنافسون على الفصاحة والبلاغة والذلاقة يتبجحون بذلك ويتفاخرون بينهم، كانت معجزته عليه الصلاة والسلام من حيث مابرعوا فيه من بيان وفصاحة فتحدّاهم بالقرآن وهو الغاية في الفصاحة والبلاغة، وقد نبه على هذا من تحدث من العلماء عن الإعجاز"[1] ولكن لايعني أن تصل بلاغة العرب إلى أن توازن بكلام سماوي لينتقدوه كما يرى المرحوم طه أحمد إبراهيم. والاّ فأين الإعجاز في ذلك؟ وقد تحدّاهم في آيات أن يأتوا بمثله[2] حتى بان عجزهم في التحدي وعرف كل فصيح منهم أن لا قدرة لبشر على أن يقول مثله، وأثبت الله عجز الخلق جميعاً عن الإتيان بمثله[3].

لقد سببت هذه الآراء تضارباً في آراء النقاد، وأشعلت معركة نقدية، فكان من وقف إلى جانب الأُستَاذ طه إبراهيم، وكان من رفض ذلك، ومن النقّاد الذين أيّدوا طه إبراهيم، الدكتور حسن الدرويش، إذ رفض النقد التفصيلي ورفض قصة النابغة مع حسّان والخنساء فبرأيه أن نقد عصر ماقبل الإسلام فطري لايربط بين الشاعر وبيئته وزمانه[4]، في حين نجد نقّاداً آخرين رفضوا التعليل ولم ينكروا

---

(1) الإسلام والشعر،الدكتور سامي مكي العاني، ص 28.

(2) من هذه الآيات: الطور/34، هود/23، البقرة/23، الاسراء/88.

(3) إعجاز القرأن، الباقلاّني، تحقيق السيد أحمد صقر، ص 23.

(4) ينظر: في النقد العربي القديم أعلامه واتجاهاته، الدكتور العربي حسن درويش،ص 38.



obeikandi.com

الروايّة، ومن هؤلاء سيد قطب[1] والسباعي البيومي[2] والدكتور عبد العزيز عبد المعطي الذي أدهشته الفصاحة والبلاغة التي شُهر بها عصر ماقبل الإسلام.[3] إلاّ أن أهل هذا العصر كانوا يكتفون بإحساسهم بروعة النظم وتأثيره، فلم يحتاجوا إلى إبراز خصائصه أو شرح الأسباب الموضوعية التي من خلالها يتفوق شاعر على آخر فهؤلاء جميعاً اتفقوا على عدم قدرة الناقد في عصر ماقبل الإسلام على التعليل ويرون أن الناقد لم يستطع أن يتجاوز مرحلة الذوق والتأثر الانطباعي، وقد جاء في كتاب الأغاني عن حسّان أنه قال:"جئت نابغة بني ذبيان وقد قامت الخنساء من عنده فأنشدته، فقال: إنك لشاعر وإن أخت بني سليم الخنساء لبكّاءة"[4].

وقد أهملت الدراسات النقدية الحديثة هذا الخبر مع أهميته، فالخنساء لايشق لها غبار في هذا النوع من الشعر في حين طرق حسّان الأغراض كلها، وكانت شهرته معروفة. ويبدو أن هذا الحكم جاء متأخراً عن حكم آخر فضَّلها على حسان وجعلها أشعر الجن والإنس ولأن مستواها تدنى في القصيدة التي أنشدتها مؤخراً.

والحق أننا نأسف لاتهام نقادنا المحدثين للناقد العربيّ بأنه لا يميّز قليل الجمع من كثيره، ولايستطيع أن يحلل أي نص، وهو صاحب البلاغة والفصاحة، ومن استقرائنا نصوص شعراء عصر ماقبل الإسلام، ندرك خبرة نقاد ذلك العصر وقدرتهم على إدراك القيم الجمالية، ولمّا كان النص نتاج عصره ومجتمعه، فإن أدوات التحليل والنقد ستكون نابعة من ذلك العصر وأدواته، وبما أن النص الأدبي، قد بلغ الفصاحة ومنتهى البلاغة في ذلك العصر، فلابد لمتذوقه أن يجد فيه مكامن القوة ومواضع الضعف.

ولذلك كان على نقادنا المحدثين أن ينظروا بموضوعية إلى أهمية الأحكام النقدية في ذلك العصر. وإذا كان الذي صدر عنه الحكم النقدي شاعراً ذوّاقاً

---

(1) ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه 113.

(2) ينظر: تأريخ القصة والنقد في الأدب العربي، السباعي بيومي، ص 107 ومابعدها.

(3) ينظر: من بلاغة النقد العربي، الدكتور عبد العزيز عبد المعطي، ص 8.

(4) الأغاني 172/4.

عارفاً بالشعر وفنونه له خبرة بعد أن نضجت ملكته النقدية، فلا عجب في أن يصدر حكمه النقدي تعليلاً وتفسيراً وتفصيلاً. فالنابغة كان يعيش حقبة زاهرة في حياة الشعر العربي في عصر ماقبل الإسلام، إذ استقرّت تقاليد الشعر الفنيّة أو كادت، مما مكن الشعراء من تحقيق المثل الفني الأعلى في الشعر[1].

وكان رأي الدكتور بدوي طبانه من الآراء المهمّة التي سجَّلت على من اعترض على أحكام النابغة النقدية بصورة دقيقة وبإسهاب متخذاً لتلك الحجج أقوى التعاليل فيفندها بقوله: "أما ذهاب النابغة إلى تخطئة حسّان في فخرهِ بالأبناء دون الآباء فلأنه أعرف بصفات المدح التي لاتغفل فيها العرب مآثر الآباء والأجداد، ومانظن منصفاً يرى أن تخطئة النابغة حساناً في هذا يستلزم الإلمام بشيء من المنطق، لأن معنى هذا أنّ الناس قد حرموا العقل والتفكير حتى طلع على الإنسانية ارسطوطاليس وذلك ظلم للعقل الإنساني والتفكير الفطري الذي ميّز به الإنسان من سائر أنواع الحيوان، ولم يقل بهذا القول الظالم أحد حتى صاحب المنطق نفسه الذي أخذ منطقه من الفكر الإنساني"[2].

ويبدو أن الدكتور طبانة يؤيد النظرة الفطرية القائمة على الذوق ولكنه مع هذا لم يهمل النظرة الموضوعية،وتبدو النظرة الفنيّة الموضوعية أكثر وضوحاً في حكم النابغة على حسّان وأهم صفات هذه النظرة هي الذاتية النابعة من إحساس الناقد تجاه النص، وقد تنوّعت صور موضوعيتها من ناقدٍ إلى آخر فهي إما لغوية وإما عروضيّة أو دلالية وهي سمة نقد النابغة، ولكن هذه الموضوعية هي جزئية ليس فيها من الإحاطة والشمول أو محاولة التنقيب في زوايا الأثر الأدبي، ولم تتضمن دراسة مستوعبة لقصيدة كاملة أو دراسة للشاعر من خلال تلك القصيدة وإبراز المحاسن والمساوئ في كل جزء من أجزائها.

---

(1) قضايا في الأدب والنقد، الدكتور محمد مندور، ص 161. ومن النقاد الذين أيّدوا الدكتور الحاجري، الدكتور حكمة الالوسي والدكتور عبد العزيز عتيق والدكتور بدوي طبانه والدكتورة هند حسين طه وغيرهم. ينظر: مفاهيم في الأدب والنقد، ص 38، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص 29-3. ودراسات في نقد الأدب العربي، ص 59-6.

(2) دراسات في نقد الأدب العربي، لغاية القرن الثالث الهجري، ص 96.



obeikandi.com

ويسير أحمد أمين بخطى جديدة في هذا الميدان، فالنقد عنده أنواعٌ منها نقد الألفاظ أوالمعاني الجزئية، ومنها نقد مفاضلة بين الشعراء ومنهاالحكم على القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة موازنة بغيرها، وهو لذلك لم يبنِ على قواعد فنية ولا على ذوق منظمٍ ناضج وإنما هو لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة لأن شعر الشاعر كان إحساساً أكثر منه عقلاً، كذلك الناقد فكلاهما ينفعل بالحوادث ليعبر بعدها بطريقته سواء أكان شعراً أم نقداً، وكلاهما ساذج هذا في أدبه وهذا في نقده[1].

وكان تفنيد الدكتورة المرحومة هند حسين طه حجج طه إبراهيم أقرب إلى الواقع، إذ رأت أن لاصحة لعدم معرفة العرب بالجموع، وغيرها لأن الإنسان مجبول بطبيعته على التفريق بين الجمع وغيره " فكيف به إذا كان شاعراً متمكناً كالنابغة الذبياني أوكالخنساء الشاعرة، ثم إن الأدب ونقده ذوق وفن قبل إن يكون معرفة وعلماً، فإذا توفّرت المعرفة عند صاحب الحس المرهف والذوق السليم، فهي تعينه على الفهم والدقّة"[2].

والحق أنني أذهب إلى ماذهبت إليه الدكتورة هند ومن سبقها في أننا نبخس العربي حقّه إذا مااتهمناه بقصر النظرة وعدم القدرة على التمييز، كيف ذلك وهو الذي علق في أذهان العرب إلى ماشاء الله تلك المعلقات المذهبات، فهل يعقل أن يكون من أتى بتلك المعاني الدقيقة، قد فقد القدرة على تحسس جمالي وذوقي بقصيدة أوببيت شعري؟ونحن نستغرب ذلك الإنكار لمن أنكروا، وعندي أن من ينكر قدرة العربي على النقد والتحليل كأنه أنكر عليه شعره وقصائده الرائعة وكأنه أنكر وجوده إلاّ أن الدراسات المنصفة أثبتت براءة الشعر والنقد من تلك التهم.

وإذا أنعمنا النظر في مكانة النابغة النقدية لما وجدنا غباراً يثير الشك في قدرته على إطلاق الأحكام بسبب مااكتسبه من صلته وتقربه من ملوك الحيرة والغساسنة

---

(1) ينظر: النقد الأدبي، الدكتور أحمد أمين 2/416-417.

(2) النظرية النقدية عند العرب، الدكتورة هند حسين طه، ص 32.

ومكانته في قبيلته، فضلاً عن مكانته الفنية بين أقرانه الشعراء فهذه العوامل جعلت له وزناً يمارس من خلاله دور الناقد الأدبي في الأسواق والمجالس الأدبية.و يروى أنه كان يجالس النعمان ملك الحيرة، وكان الشعراء ينشدونه قصائد المدح، فإذا بالنابغة يطلق أحكامه النقدية على شعرهم، فهذه الصفات تجعله من دون شك قادراً على التمييز بين جمع القلّة وجمع الكثرة ودلالة كل منهما في شعر حسان،ويبدو أن النابغة قد وفقَ في نقدهِ فخر حسان بأبنائهِ من دون آبائه أما فيما عداه، وإن لم يوفق فيما يبدو إلاّ أن لهذه الأحكام جذورها المهمّة في ترسيخ دعائم النقد في تلك الحقبة من الزمن. لقد كان للشعراء منزلة كبيرة حازتها لهم أشعارهم، ولذا عمل الجميع على أن يرضوهم ويسمعوا لهم، ويجزلوا العطايا لهم أملاً في ذكرهم وإذاعة صيتهم بين العرب، فقد أورد صاحب الأغاني خبراً عن الأعشى عندما قدم مكة أنه "لقي ترحاباً وحفاوة، وقد بادر إليه المحلِّق الكلابي - وكان مئناثاً محلقاً- فاستضافه وأكرمه- آملاً أن يصيبهُ مدحه بخير- ونحر له ناقته الوحيدة التي كان يملكها، وبالغ في إكرامه وإكرام رفاقه وقامت بناته بخدمته وجماعته، فسأله عنهنَّ الأعشى فقال: بنات أخيك وهن ثمان،فقدم الأعشى على عكاظ فأنشد قصيدته ومطلعها:

أرِقْتُ ومَا هذا السُّهادُ المُؤرِّقُ     وَمَا بي مِنْ سُقمٍ ومابي مَعْشَقُ

إلى أن قال:

لَعمْري لَقَدْ لاَحَتْ عيُونٌ كَثِيرةٌ     إلى ضُوءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تُحَرِّقُ

تُشَبُّ لَمِقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا     وَبَاتَ عَلى النّارِ النّدى وَالمُحلَّقُ

فما أن أتمّ القصيدة جاءالناس يتوافدون على المحلق يهنئونه، والأشراف من القبائل يتسابقون يخطبون بناته لمكانة الأعشى وشعره، فلم تمسِ واحدة منهنّ إلاّ في عصمة رجل خير من أبيها ضعفاً"(1) فللمديح عند العرب تأثير كبير في النفوس، فقد يرفع رجلاً وضيعاً ويجعله في مصاف علية القوم، كما فعل الأعشى في مدحه للمحلق الذي كان فقيراً مغموراً ومئناثاً. فمدح الأعشى - كما يبدو- دفع وجهاء

---

(1) الأغاني 77/8. والأبيات في ديوان الأعشى، ص 275.267.

القوم يتسابقون إليه يخطبون بناته بهذه السرعة المذهلة. ولمكانة المدح قال الجاحظ: " وماأعلم في الأرض نعمة بعد ولاية الله أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً"[1] فهذه الرواية سواءٌ صحّت أم لم تصح فهي تبين أثر الشاعر في متلقيه.

تلك بعض الأقوال التي عثرنا عليها وهي بالتأكيد ليست كل كلام الجاهليين في الشعر العربي ونقده، ولا تمثل نقد الأدب عندهم تمثيلاً كافياً ومن ثم كان من الصعب تحديد الأصول الأولى والقواعد التي احتذاها النقاد ومعرفة الأهداف التي كانوا يرمون إلى إصابتها والمثل التي كانوا يصبون إلى تحقيقها في الفن الشعري، وإن كانت تلك المثل حقيقة واضحة فيما أثرى من نتاجهم الشعري الذي لا يصعب الوقوف إلى خصائصه "[2].

وتأسيساً على هذا فإن الشاعر الجاهلي ذكر في عدد من قصائده ألفاظاً عبَّرت عن مدلولها الاصطلاحي أو ما يشبه مدلولها وهذا مايدل على أن العربي أعلم بلغته، وأقدر على التصرف فيها من غير حاجة إلى معرفة تلك المصطلحات ولعل فصلنا الثاني يناقش عدداً من المصطلحات، والتي حددت أصولها أشعار أولئك الفحول من الشعراء الجاهليين.

(1) الحيوان 383/4.

(2) دراسات في نقد الأدب العربي، لغاية القرن الثالث الهجري، ص 73.

opeikandi.com